# المقتطف

الجزء الثالث من المجلد السابع والتسعين

اكتوبر سنة ١٩٤٠ — ٢٩ شعبان سنة ١٣٥٩


# علم الطبيعة الجديد


روبرت الماده (١)


يحكم كل متتبع لنشوء علم الطبيعة بأن مبادئهُ وقواعده نقحت وعدّلت منذ بدء القرن العشرين ، نتيجة لتجارب والاها العلماء منذ ثلاثين سنة إلى الآن . فالطبيعي يحاول الآن تفسير نظام الكون وطبيعة الذرة والمادة والضوء وفقاً لصور جديدة تختلف اختلافاً أساسيًّا عن الصور التي كانت تسود علم الطبيعة في القرن التاسع عشر

ويؤكد البرنس لوي ده بروي — الطبيعي الرياضي الفرنسي — ان الآراء التي بسطها ماكس بلانك الطبيعي الالماني في سنة ١٩٠٠ كانت من أهم الحدود الفاصلة في نشوء علم الطبيعة في هذا العصر

وقد أتجهت مساعي العلماء الطبيعيين الى بحث المتناهي في الصغر والمتناهي في الكبر أي الذرات وما تتألف منهُ والشموس الكبار والمجرات . فعلماء الفلك الطبيعي تغلغلوا ببحثهم في رحاب الكون الفسيحة ، وعلماء الطبيعة الذرية تاهوا في تجاربهم أفلاك دقائق من مادة تستطيع ان تحشد عشرة ملايين منها في مدى مليمتر واحد . وفي الحالين لا بدَّ من اعتماد الباحثين على أجهزة علمية دقيقة يتعذر الحصول عليها واستعمالها إلاَّ في المعاهد العلمية الكبيرة على الاكثر ،

---

(١) أشار هذا المعنى على أن مراجعة كتاب « الفلسفة الطبيعية الحديثة » وملخصه « تأليف الاستاذ احمد فهمي ابو خير وهو هدية المقتطف السنوية الى مشتركيه

لكثرة نفقتها وعظم الجهد في اعدادها ، ودقة تدريب الباحثين على استعمالها ، وهذا يفسر البطء في ظهور النتائج التي أسفرت عنها التجارب التي جرّبت بها

كان علم الطبيعة القديم قائماً على وجود العناصر التي لا تتحوّل وعلى ان ذرّات كل عنصر منها مماثلة ولكنها تختلف عن ذرّات العنصر الآخر وان عدد انواع الذرّات او العناصر اثنان وتسعون او نحوه ، أي ان علم الطبيعة القديم عجز عن الوصول الى وحدة المادة

أما علم الطبيعة الجديد فيأخذ بأن قوام المادة ذرات كل ذرة منها مؤلفة من جزئين أساسيين النواة وحولها الكهيربات، وأبسط العناصر تركيباً هو عنصر الايدروجين فنواتهُ بروتون واحد وحولها كهيرب واحد ، وأن ذرات سائر العناصر لا تختلف نوعاً عن ذرة الايدروجين مع أنها تختلف شكلاً ومقداراً من حيث ما يدخل في تركيبها من بروتونات وكهيربات ، وعلى هذا الأساس تمكن العلماء المحدثون من تحويل العناصر بعضها الى بعض ، فعلم الطبيعة الجديد قائم حقاً على مبدإ وحدة المادة

ولكن قواعد هذه الوحدة يحوطها شيء من الغموض . فقد كان الرأي الى عهد قريب ان جميع ذرات العناصر مؤلفة من بروتونات النواة وهي دقائق الكهربية الموجبة ، وكهيربات تدور حول النواة وهي دقائق الكهربية السالبة . وان البروتون يفوق الكهيرب نحو ٢٠٠٠ ضعف وزناً . وبدا ان الذرّة أشبه ما تكون بنظام شمسي شمسهُ النواة وسياراتهُ الكهيربات حولها . وان قوام المادة في الواقع ليس إلا دقائق كهربية تتذبذب في الفضاء ، أي فضاء الذرة. وشبه العالم الفرنسي تيبو Thibaud مدير معهد الطبيعة الذرية في جامعة ليون ، الذرّة تشبيهاً لطيفاً يقرب صورتها من تصور القارىء فقال : إذا تصورنا ذرّة الايدروجين في حجم مدينة باريس كانت نواتها في حجم قوس النصر، وكهيربها في قدر كرة بلياردو في ميدان الكونكورد وباقي الذرّة خلاء

ولكن البحوث العويصة التي تمّت في السنوات الأخيرة عقّدت الموضوع بدلاً من أن تبسطهُ . ذلك بأن الباحثين كشفوا جسيمات جديدة عدا البروتون والكهيرب . فكشفوا أولاً دقيقة الكهربة الموجبة وتعرف باسم البوزيترون او الكهيرب الموجب وهي مما يصعب الحصول عليه او مجهُ في انبوب لأنها لا تكاد تولد حتى تتحد بدقائق اخرى . وهي تماثل الكهيرب كتلةً ولكنها تخالفهُ شحنة كهربية . فالكهيرب سالب الكهربة وهي موجبتها . وإذن فالكهيرب والبوزيترون متوأمان ولذلك اقترح أحدهم ان يدعى الاول نجاترون ( كهيرب سالب ) والثاني بوزيترون ( كهيرب موجب ) . وكشفوا كذلك النوترون ( المحايد ) وقد دعي كذلك لأن شحنتهُ الكهربائية متعادلة . وهو يماثل البروتون او ذرة الايدروجين في كتلته ويدخل

أحياناً كثيرة في تركيب نوى الذرّات وفي الآراء الأخيرة أنهُ عماد تركيب نوى الذرّات . وبعد ذلك كشفوا ما يعرف باسم النوترينو ( أي المحايد الصغير ) وقد دعي كذلك لأنهُ متعادل الكهربية كالنوترون ولكن كتلتهُ أصغر كثيراً من كتلة النوترون فهي مثل كتلة الكهربـ ـلها أصغر . واخيراً كشفوا البوزوترون

فعلم الطبيعة الحديث لا يزال في مهدهِ . ان فريقاً من العلماء يتصورون المادة دقائق مكهربة يحيط بها فراغ . فنبدو بدأً ألا يجوز تهشيم النوترون فينفصل دقيقتين احداهما موجبة الكهربية والأخرى سالبتها وعندئذٍ يكون النوترينو مصاحباً لهذا التهشيم ؟ اما البرنس لوي ده برولي فأميل الى القول « بانقسام البروتون الى نترون والكترون موجب ( بوزيترون ) . وعلى ذلك يكون قوام المادة بحسب رأي ده برولي نوترونات غير مكهربة وكهربات سالبة ( نجاترونات ) وكهربات موجبة ( بوزيترونات ) . فالنوترون لا كهربية فيهِ ولكن كتلتهُ كبيرة والآخران كتلتهما يسيرة جداً ولكنهما مكهربان . فعلم الطبيعة الجديد مبني على فكرة وحدة المادة

***

ويختلف علم الطبيعة الجديد عن علم الطبيعة القديم من وجوه أخرى . فالميكانيكيات القديمة كان لها سادوها ومنها انهُ لا توجد سرعة أعظم من سرعة الضوء ولا حرارة أقل من حرارة ( أو برد ) الصفر المطلق . وان المادة لا تتلاشى .

ومما لا ريب فيهِ أن علم الطبيعة الجديد لا يعترف بصحة المبدإ الأخير ، وجميع الطبيعيين يسلمون بامكان تلاشي المادة الآن ، في إحدى التجارب الحديثة ثبت ان أزواجاً من الكهربات الموجبة والسالبة تتلاشى فتتولد ضويئات ( فوتونات وهي ذرّات الضوء إذا صحّ القول بأن للضوء ذرّات على اعتبار ان الذرة شيء مادي . ولهذه الملاحظة تفصيل في آخر المقال ) . وفي الجهة المقابلة تولدت أزواج من الكهربات الموجبة والسالبة من الضويئات ( تقرير للمعهد السنعوني سنة ١٩٣٨ صفحة ١٣١ ) . فالعمل الأول تحويل المادة الى طاقة والعمل الثاني تحويل الطاقة الى مادة ( إذا صحّ ان نعتبر الكهربات دقائق مادية والضويئات حزم اشعاع لا دقائق مادية ) .

ولذلك يقول أينشتين إنهُ عبثاً أن نحنّ نحنّ مبدئي « حفظ المادة » و « حفظ الطاقة » « مبدأ التعادل » مستقلين مبدءاً يقول بـ « حفظ شيء ما » ولكنهُ مبدأ يسمح بتحول المادة الى طاقة والطاقة الى مادة . ولنضرب مثلاً على هذه الصورة الجديدة في علم الطبيعة الحديث

إن ذرّة الهليوم مؤلفة من أربع ذرّات إيدروجين . ولكن كتلة ذرّة الهليوم أقل من مجموع كتل ذرات الايدروجين الأربع ، فأين ذهب الفرق ؟ هذا الفرق ، هذا القدر اليسير من الكتلة تحوّل طاقة منطلقة عندما اندمجت الذرّات الأربع بعضها في بعض لانشاء ذرّة واحدة جديدة . وتقدر الطاقة التي تولدت بتحول هذا المقدار من المادة بنحو ٢٧ مليون فولط

خسارة المادة بملاشاتها يعوضها تولد الطاقة وهذا هو مبدأ التعادل equivalence

ويرى فريق كبير من العلماء أن تلاشي المادة على الوجه المتقدم في الشمس يجهزها بالطاقة العظيمة التي تجعلها مشرقة . وعلى كل حال فني وسعنا ان نتصور تحول ذرات الشموس الى اشعاع كما تتحول ذرات العناصر المشعة الى اشعاع ، وكذلك تحوّل الطاقة المشعة الى مادة كما تحوّلت الطاقة الى كهربات موجبة وسالبة في التجربة التي تقدم ذكرها . ومع ذلك تبقى أمامنا صعوبة كبيرة وهي أننا لا نعلم علماً وثيقاً ما هي الضويئات (الفوتونات) أي ما هو الضوء

من نحو عشر سنوات ابتدع البرنس لوي ده برولي مذهب الميكانيكيات الموجية . وطبقهُ أولاً على الضوء ثم على جميع أشكال الطاقة وفاز بجائزة نوبل الطبيعية

كان نيوتن يقول ان الضوء دقائق . وقال هوجنس وأيده فريل وبنغ أنهُ أمواج في وسط دعوه الاثير . ولكن علماء الطبيعة المحدثين يشكون في وجود الأثير ، فجاء ده برولي وجمع بين المذهبين فقال ان هناك انطلاق ذرات وحركة موجية في آن واحد ، وجاء مشرّفة فقال أن الفرق بين الضوء والمادة فرق سرعة . وقال ده برولي إنهُ من الضروري ان نربط بين فكرة الموجة وحركة الدقائق المادية الذرية . وحركة الدقائق مرتبطة بظاهرة دورية رتبية ندعوها موجة

ويذهب علماء الطبيعة الى ان هذه القاعدة العامة في فهم الضوء والمادة بحسب قواعد الميكانيكيات الموجية تفسر جميع التجارب التي عجز علم الطبيعة القديم عن تفسيرها ولكنها تجعل جوانب من علم الطبيعة الحديث مكتنفة بالابهام . ففي مذكرة علمية كتبها اندرق موريس ده برولي بمعاونة شقيقه البرنس ده برولي جاء ما يلي :— ان الفوتون (الضوء) دقيقة من الضوء لا تزال طبيعتها سرًّا من الأسرار ، والميكانيكيات الموجية تربط بفكرة الحركة «موجة» لا وجود طبيعي لها ولكن يمكن التنبؤ الرياضي بها »

***

ثم علينا ان نضيف مبدءاً ثالثاً الى مبدأي وحدة المادة وقابلية التحول من المادة الى الطاقة ومن الطاقة الى المادة وهو ان للمادة والضوء ناحيتين ناحية ذرية corpuscular وناحية موجية wave وهذا يفضي بنا الى نظرية وحدة المادة والضوء . والبرنس ده برولي يرى أن هذه الوحدة تحقق عن طريق نظرية النوترينو (المحايد الصغير) وهو دقيقة صغيرة كالكهرب أو أصغر منه وشحنتها الكهربائية صغيرة جداً أو تكاد تكون صفراً بالقياس الى شحنة الكهرب. وعند البرنس ده برولي أن النوترينو قد يكون أحد جزئي الضوء . أما الجزء الآخر فدقيقة أخرى . وهو يدعو النوترينو « نصف الضوء » demiphoton . ولكن اذا كان للنوترينو قوام مادي فيصبح الضوء دقيقة مادية لا مجرد دقيقة من شيء غير مادي هو الضوء

ونحن نرى شرذمة القائلين بأن الفرق بين المادة والضوء انما هو فرق سرعة يوفق بين الاثنين ويجمعهما في سبيد واحد . على أن هذه الاعتبارات تدلنا على صحة ما قلناه من أن نواحي من علم الطبيعة الحديث لا تزال محوطة بالخفاء والغموض . فمن ناحية منه نخرج بأن الحقيقة المادية كما كانت معروفة لعلماء الطبيعة في القرن التاسع عشر قد اضمحلت وحلت محلها صورة مادة ذرية الموام تتصف بصفات التحول المتبادل بين خواص المادة والطاقة . وكأنما تقود الى نوع من «التوحيد المادي» تستقر خارجه أسرار الحياة والعقل

وبالاختصار ان علم الطبيعة الحديث يأخذ بمبادىء وصور تقضي على حتمية الميكانيكيات القديمة ومبدإ الاتصال ( Continuity ) . هذه المبادىء والصور تقول لنا بأن الطبيعة الذرية الجديدة تشير الى حقيقة غير متصلة تقع فيها تحولات فجائية ليس في الوسع تفسيرها إلاّ بعملية مركبة من حركة موجية وحركة ذرية مشتركتين معاً . والبرنس دي برولي يرى أن نشر نظرية بلانك في «المقدار» ( Quantum ) في سنة ١٩٠٠ هو أصل الانقلاب في علم الطبيعة الحديث. فلنلق نظرة عجلى في مذهبه

أن «المقادير» Quanta في نظر بلانك مردها الى أن اشعاع الذرات ليس اشعاعاً متصلاً . فكأن الطاقة تتجمع وتحتشد في ذرة حتى اذا بلغت قدراً معيناً انطلقت اشعاعاً . فانطلاق الاشعاع من ذرة مشعة ليس انطلاقاً متصلاً وانما هو انطلاق مقادير كثيرة متلاحقة بسرعة بينها فترات مهما تكن قصيرة من الزمن . وقد جربت تجارب متعددة منذ ما أذاع بلانك نظريته فأيدت قوله

من الأقوال المشهورة المسندة الى الفيلسوف بينز أن الطبيعة لا تحب الفقر . كقولهم أن الطبيعة تكره الفراغ . أما وقد أصبحت الذرات قوام نظرتنا الى الطبيعة فليس في الطبيعة إلاّ الفقر . وعلم الطبيعة الذرية يفسر عمله على كشف النواميس المسيطرة على هذا الفقر . ورجاله يبحثون عن قيمة «مقدار» الطاقة . ويحاولون أن يستخرجوا قواعد الاحتمال التي تحكم انتقال نظام ذري من حالة الى أخرى في مدة معينة . أي إنهم يحاولون أن يستخرجوا قواعد الاحتمال التي تمكنهم من معرفة الحالة التي يكون عليها نظام ذري ما بعد انقضاء مدة معينة . وكل ما يستطيعونه هو معرفة الاحتمال . أي انهم لا يستطيعون أن يحكموا حتماً بأن حالة هذا النظام الذري ستكون كذا أو كيت بعد انقضاء مدة معينة . أي أنه من المتعذر عليهم أن يتنبأوا بالدقة أو بعرفوا حتماً مستقبل حركة ذرة أو جزء من ذرة. فعدم الثبت في علم الطبيعة الذرية حل محل مبدإ الحتم . وهذا هو مبدأ هيزنبرج [illegible]

Heisenberg's uncertainty principle

فكأن مبدأ الحتم الذي قامت عليه ميكانيكات نيوتن وديكارت هدم من أساسه من حيث المبدإ. نعم أن مبدأ عدم الثبت يشمل كل الكون . وتلك القواعد الذرية التي كشفها علماء القرن

التاسع عشر وبنوا عليها لا تزال قائمة لأنها بحسب النظرة الحديثة قائمة على احتمالات كبيرة فهي تصح في اكثر الاحوال والاحوال التي لا تصح فيها نادرة جداً يجوز إهمالها في حسابنا العملي . وكل ما تقوله النظرة الحديثة أنهُ لا يجوز القول انها صحيحة إطلاقاً وحتماً في جميع الحالات بغير استثناء

ان مبدأ عدم الثبت نتيجة القول بطبيعة المادة والطاقة الذرّية . فالذرّية (اي الانفصال في بناء المادة والطاقة ) وعدم التثبت ركنان أساسيّان من أركان علم الطبيعة الحديثة

***

في دراسة التركيب الذري يتعين على علماء الطبيعة الحديثة والفلك الطبيعي astrophysics ان يستعينوا بالتخيّل . فالتخيّل رائد التجريب . وبعد التجريب والامتحان يأتي دور التفسير والتركيب synthesis . ولكن الحذر يجب ان يكون رائدهم في جميع هذه المراحل . وتاريخ العلم حافل باشلاء التفسيرات العلمية المنبوذة

والافكار الجديدة في العلم لا يمكن قبولها إلاّ بعد تواتر الأدلة القاطعة المستخرجة من التجارب المعادة . ثم يجب ان تكون على اشدّ الحذر في التفريق بين نتائج التجارب وتفسير تلك النتائج

ولنضرب مثلاً على ذلك منتزعاً من علم الفلك الطبيعي . فقد تعوّدنا الآن ان ننظر الى المجرّات التي خارج مجرتنا او السدم الاولية على انها اشبهُ ما يكون بجزائر ضخمة في بحار الفضاء وهذا القول مبنيٌّ على مباحث العلاّمة هبل Hubble الاميركي منذ سنة ١٩٢٥ الى الآن

وقد ثبت سرعة طائفة غير يسيرة من هذه المجرّات ويؤخذ من دراسة هذه السرعات ان المجرّات الخارجية تبتعد عنا وبعضها عن بعض بسرعة عظيمة ، تبلغ أحياناً سُبع سرعة الضوء

وفي سنة ١٩٢٩ استخرج هبل قانوناً مؤداه ان زيادة سرعة ابتعاد المجرّات موافقة لبعدها فكلما زاد بعد مجرّة مليون سنة ضوئية زادت سرعة ابتعادها ١٧٠ كيلو متراً في الثانية . وهذه النتيجة هي التي أفضت بعلماء الفلك والطبيعة على السواء الى القول بأن «الكون آخذ في الاتساع» Expanding Universe وأنهُ ضاعف قطرهُ خلال ألفي مليون سنة . ولكن اذا بلغت سرعة المجرّات الثانية سرعة الضوء تعذر على أيّ كان ان يراها لأن أشعة الضوء المنطلقة منها لا يمكن ان تصل الأرض ، وهذا يعني ان الكون يصبح وهو لا قرار لهُ

هذا التفسير قائم بحكم الضبع على مبدإ طبيعي وهو حيود الخط الأحمر في طيوف المجرّات التي فحصها هبل وأعوانهُ في مرصد جبل ولسن . ولكن من يدري ان الغد لا يأتينا بتفسير آخر لهذا الحيود ؟ ان دراسة الطيوف محوطة بكثير من التحفظات التي تحملنا على الحذر في قبول التفسير الذي ذهب اليهِ هبل قبولاً مطلقاً . وعلاوة على ما تقدم أن هبل يفرض أن النواميس التي تحكم مجرتنا سارية على مجرات قصية بنوع أن لا صلة بينها وبين مجرتنا على الاطلاق .

ثم هناك نظرية أخرى يقول بها علماء الفلك الطبيعي محاولين ازالة التناقض بين القول بالتناهي واللاتناهي ، وهي ما يعرف بلفظي « الكون المنكور » . فالكوْر في نظرهم ناموس أساسي من نواميس الطبيعة . هو ذا الكون يشبه كرة ضخمة او فقاعة كبيرة . وجميع أصناف الاشعاع تتبع في سيرها خطوطاً منحنية . وعلى ذلك فالضوء الواصل الينا من نجم مايصل الى الأرض من ناحيتين الأولى مباشرة في خط منحن ، والثاني في خط دائرة كاملة بعدما يجوب آفاق الكون . وهذا قول يجب ان يمتحن قبل ان نأخذ به . اي يجب ان ننتظر البرهان التجريبي على ان انتقال الاشعاع او الطاقة او الضوء لا يسير في خط مستقيم بل في مسار منحن ، ( تقرير المعهد السنصوني ١٩٣٨ صفحة ١٧٥ ) . ولكن يجوز لنا بغير ان نجبح مع النحيل الوثاب ان نقول بان بحوث وتجارب الثلاثين السنة الأخيرة حملت علماء الطبيعة على تنقيح افكارهم الأصيلة الى العالم والضوء والمادة والطاقة اي الى الكون

ولد العلم الحديث من الفلسفة حوالي منتصف القرن السادس عشر . ولد ثائراً على أمه فانقلب على أساليبها القائمة على التأمل والاستنتاج من مسلمات فلسفية سابقة متخذاً له أعواناً من المشاهدة والاستقراء والتجربة وأسلحة من المرقب والمجهر والمطياف وغيرها

وكان أئمة هذه الثورة على الفلسفة تيخو براهي وكبلر وكوبرنيكس وغليليو — وخاصة هذا الأخير الذي استنبط المرقب واستعمله . وسار زعماء العلم من عصر الى عصر يكشفون عن أسرار الطبيعة ويتتبعون بحوادث الفلك تنبؤاً دقيقاً بعد ما استخرج نيوتن نواميس حركات الأجرام الى أن كان القرن التاسع عشر فاذا الكون في نظرهم آلة مبنية من ذرات المادة المتحركة تجري بحسب نواميس ميكانيكية دقيقة واذا المادة لا تتلاشى في عرفهم والضوء أمواج تسير في خطوط مستقيمة في وسط تموجه الأثير

ثم كشف عن أشعة رنتجن وعن الراديوم وعن الكهرب على أيدي رنتجن وكوري وطمسن وأعوانهم فكان ذلك فاتحة عهد جديد في العلم الطبيعي وتلاهم بلانك بمذهب الكوانتم ( الكم أو المقدار ) وانشتين بمذهب النسبية وده برولي وهيزنبرج وأندادهما بمذهب جديد لبناء الالكترون والبروتون . واذا نحن نجد في كل هذه المباحث ان المادة تكسب وزناً اذا تحركت بسرعة عظيمة ، وتتلاشى ، فتتحول الى طاقة ، وان للضوء ضغطاً وهو ينجذب كأنه شيء مادي . ثم ان الضوء ليس أمواجاً في الأثير بل مقادير من الطاقة ولا حاجة بها الى الأثير ، وان أجزاء المادة النهائية تتصرف كأمواج وان المعرفة اليقينية في القرن التاسع عشر صارت معرفة نسبية في سنة ١٩٤٠ وان عالماً مؤلفاً من ثلاثة أبعاد لا يكفي لجميع هذه الظاهرات بل نحتاج الى عالم ذي أبعاد لا تحصى وان الفرق بين الطاقة والمادة انما هو فرق في سرعة كل منهما . في هذه الاعتبارات نجد مكاناً رحباً لعقل الفلسفي يسعى الى توحيدها في نظام شامل . والرجوع معلق باتحاد الفلسفة والعلم في الوصول الى هذا الغرض

# الافكار سر الحضارة

والقنابل لا تدمرها
الا اذا رضي الشعب بتقييد الفكر

على ارغم من توالي الحوادث الكبار وانائها، وانشغال الفكر بتتبعها وتقصي مغازيها يطيب لكاتب هذه السطور عندما يستطيع، أن يخلو الى نفسه قليلاً في هدأة الليل على الغارب، أو قبيل انبثاق الفجر للتأمل في أشياء قائمة من وراء الحوادث، راسية كالصخرة الصماء تقبل عليها الأمواج وتصرها ثم تتكسر عليها وتنحسر عنها فتبدو الصخرة راسية راسخة. والحوادث الخطيرة المتعاقبة المتزجرجة في تعاقبها كالزبد في انقياس انها ليست الا كأمواج البحر بالقياس الى الصخرة الراسية تصرها الحوادث فتغيب عن النظر أحياناً ولكن يهمنا ألا تغيب عن الذهن لأنها الأصل والحوادث انما هي الفروع

في ثنايا الصور الطوال التي اجتازتها الحضارة في تقدمها سار فنان أساسيان من قوتها جنباً الى جنب: فن الحضارة وفن الفنان. وقلما نجد في التاريخ أمة جاءت عليها فترة من الطمأنينة والسلام بغير حرب أو قتال تتجاوز ثلاثة قرون. وعلة تفسير هذه الحقيقة مستقر في أن الانسان مسالم ومحارب في وقت واحد. ففيه غريزة الحرب وغريزة الحياة الهادئة والعيش المطمئن ممتزجتان متلازمتان

وليس القصد من هذا القول أن نعزو الى الانسان حالة من التقمص تتكفل بنبذ الحرب. فلا يتدرع الفلاسفة من يظنون ان الحياة التي انتفت منها غريزة الحرب غير جديرة بالعناية ويذهبون الى القول بأن الفنان يجب أن يلازم الحياة لئلا يضعف عصب الاصالة وعضلها وتصاب قدرتها على التقاط الانحطاط. وهو ما يقع في بعض أجيال في أسرة سادها الترف. وقد يظن أن الغرض من سوق هذه الاعتبارات الفلسفية والاجتماعية هو تسويغ الايمان بالحرب ووجوبها. مجاراةً لقول من قال: إن الحرب حقيقة واقعة والسلام رغبة. وانه لا بد من الحروب ما زال هناك ارتقاء انساني. لأن النزعة السلمية تعني التسليم قدرة شؤون العالم للذين لا يتزعون الى السلام. ولا بد أن يبقى السلام مثلاً أعلى والحرب حقيقة واقعة. وهو قول الفيلسوف الوشقالد شبنغلر الالماني. ليس هذا غرضنا مهما يكن رأينا فيه وانما القصد الاشارة الى تراثنا البيولوجي المستقر في تركيبنا العضوي. ففي عالم الطبيعة اتحد غريزة الحرب وغريزة الحياة وجهين لشيء واحد. والغرائز البيولوجية أشد تأصلاً من صرائق التفكير وتيارات السياسة والاجتماع. في

طلع الطبيعة نجد التمثال العنيف جنباً الى جنب مع أبلغ مظاهر الحب الأبوي والرأفة والعطف والمغازلة في شتى أنواع الحيوان . وأنهُ لمن بواعث الألم والحيرة لكل محب للطبيعة أن يرقد في ظل شجرة في غابة يحسبها واحة من السلام ثم يسمع صوتاً أو تغريداً فيعلم أن أحد الطيور عاد الى وكنه بعد أن قتل طيراً آخراً أو اصطاد دودة حقيرة . ولكنهُ في الوقت نفسه يتعزى عن آلمه هذا بأن غريزة الحياة في الطبيعة أبداً تتغلب على غريزة القتال فلا تصيب الأرض خاصة مجاعة تهصر الأعصان وتبيد الزرع حتى يجيء الربيع التالي فاذا الأشجار تخرج أغصاناً جديدة تحمل الأزهار والأثمار واذا الأرض تطلع نباتاً ما أنضره

وها هي ذي أوربا ميدان لأعصار تجتاح من القوى الانسانية المتطاحنة وكل منتبع لسياسات الدول كان مقتنعاً بعد عقد اتفاق ميونيخ في آخر سبتمبر سنة ١٩٣٨ بأن السلام في أوربا أقرب الى الحرب بل أن هناك من الشعوب الاوربية كبريطانيا وفرنسا من كان يحسب ذلك السلام أضرى وأشد أذى من الحرب نفسها وربما زاد في اضطراب الأفكار وبلبلتها أن مريدي الحرب كانوا يتظاهرون بحب السلام وكان المتدون يصفون ضحاياهم بانهم مضرمو نار الصراع . كذلك مدَّ الهر هتلر يده بعد ما عاد من تمزيق اوصال بولونيا الى أمم اوربا وقال في دعة انهُ لا يرى سبباً لنشوب حرب او لاستمرارها . وعلى هذا قالت اليابان بعد حرب مع الصين دامت ثلاث سنوات — بدأت حملتها البولسية التأديبية على الصين في ٧ يوليو سنة ١٩٣٧ — وقتل فيها الملايين من الناس ودمرت الاملاك وعطلت التجارات — ان الغرض انشاء نظام جديد في شرق آسيا

ما معنى كل هذا ؟ هل قدعت غريزة الحياة السلمية في الانسان ؟ هل طغت عليها ودمرتها غريزة الحرب ؟ وهل تدمر الحضارة نفسها اي الفنون والدين وفتوحات العلم الحديث وفنون الحياة جميعاً من رياضة ومتعة بالفن والأدب وغيرها . لا بد من التسليم بان ذلك الجانب من حضارتنا المتمثل في المدن الفنية والآثار الفاخرة والقصور والمساجد التي تتجلى فيها روائع النقش معرَّض للدمار . وليس في النصف الغربي من اوربا من الشمال الى الجنوب منطقة لا تجد فيها مقرًّا حافلاً بآيات العبقرية الفنية . وتلفت فترى اكياس الرمل تصفف فيها وحوانيتها لصونها من الانهيار فتقول وما تغني الاكياس في منع القباب الفخمة والمسلات الشامخة والتماثيل والنقوش الفاخرة ، والقذفة في كثير من الأحيان ، اذا أصابتها قنبلة واحدة في الصميم

ولكننا اذا تذكرنا أن غريزة الحرب هي ناحية اخرى من غريزة الحياة وان الرجل الذاهب الى ميدان القتال لا يعني بذهابه انهُ تخلى عن الرغبة في الحياة وانهُ انما يريد عرضي او غير وعي، غريزة الحياة عملاً أوسع وقد تقنع بأن غريزة الحياة أقوى من غريزة القتال . واذاً فانها لا تقدع الا ريثما تنبعث ثانية خالقة مبدعة اي انها لا تدمر . واذن فالحضارة في صميمها — وهي جماع فنون الحياة لا مظاهرها — لا يمكن ان تدمر . اي انهُ اذا دمرت

المباني الضخمة وحرقت الآثار الفاخرة وتأخرت العلوم وانطفأ مصباحها في اماكن كان يتألق فيها . فسبق الدجاج بيض واطاهي بصنع المنحة اللذيذة منهُ . وسبق صوف الغنم فتحاك منهُ المنسوجات الصوفية . وستبقى بعض خزائن الكتب فيها آثار العبقريين . وستبقى ولو في زاوية واحدة من زوايا الأرض أقراص الجراموفون وعليها ألحان الموسيقيين . وما زالت الامة لم تحقق عن بكرة أبيها ملاريب في ان الباقين منها سيحسنون في فنون الحياة واستطلاع المجهول ولو تعطلت بعض نواحيها وشلت . ولا بد للحياة بعد الحرب كالأرض بعد الأعصار من ان تنقاد للقوى المبدعة المستقرة في تكوينها فتبني ما هدم وتبعث ما باد . وهذا يعني ان السلف لا يفيد احداً شيئاً . فالعلم مهما تبلغ آثاره المدمرة لن يقضي على أسلوب البحث العلمي في أوربا ولا على حكمة كنفوشيوس في الصين . تنا لا تحسر الا المظاهر اذا نحن لم نحسر الانسان نفسه او نفس الانسان . ويقول الفيلسوف الصيني لن يوتانغ — وعليه اعتمدت في بعض هذه التوجيهات — ان الصين بنيت في عهد من عهودها بحاكم طاغية وهو باني سور الصين الكبير ، فأحرق من كتب كنفوشيوس ما شاء له هيهُ واضطهد من اتباعه ما صوره له طغيانه . ولكن حكمة كنفوشيوس والثقافة القائمة عليها لا تزال حية في نفوس الصينيين ترشدهم وتوجه حياتهم . وقال ايليا أبو ماضي في الشعراء بعد ما وصف كيف قتل الطاغية شاعراً لانهُ لم يمتثل له

والشاعر المسكين باقيـــة اقواله فكأنها الأبد
الشيخ يلمس في جوانبهـا صور الهوى والحكمة الولد

وهذا يفضي بنا الى ناحية خفية غير مادية من غريزة الحياة ومصير الحضارة . هو ان الحضارة الحديثة لا تدمر ولا تنهار إلاَّ اذا دمرت أصولها وفي لبابها . وما هو هذا اللباب ؟ حرية العقيدة وحريات الفرد التي تقيم أود الكرامة الانسانية . ثم الديمقراطية من حيث هي وجهة نظر في الحياة ومثل أعلى يتطلع اليه الانسان لا من حيث هي نظام للحكم فقط قد يساء استخدامها فتفسد . وقد اطلعت وانا اكتب هذه الكلمات في الصباح على ملخص خطبة لترتيس روزفلت أوضح فيها الحريات الاساسية الخمس التي لا بدَّ منها في رأيه للسلام والحضارة وهي الحرية من الخوف وحرية المعرفة . وحرية العقيدة . وحرية الرأي . وحرية الكفاية او التحرر من ضغط الحاجة وبؤس الفاقة . وليس ثمة ريب ان الحكومات القائمة على الاستبداد تدمر هذه الاصول وتفني هذا اللباب ولو لم تخض حرباً قط كما وتنزع هذه النعم إذ تقيم الناس حتى دوي المدفع جواسيس بعضهم على بعض وتكم أفواههم وتقدع عقولهم وتقيدها

منذ سنوات عني أحد المؤلفين الكبار بجمع فصول من كبار المفكرين في نواح مختلفة من الدكتاتورية فكتب فيها المستر تشرتشل مقدمته والمؤرخ فيرورو عن الدكتاتورية في روما القديمة وأندريه موروى عن الدكتاتورية ومشكلة الرجل العظيم ونحو عشرين آخرين من شتى الامم في

شتى نواحي الدكتاتورية . والفصول متفاوتة طولاً من خمس صفحات الى عشرين أو ثلاثين. وطلب مصنف الكتاب الى العالم السلامة أن يكتب كتابة فصل في « الدكتاتورية والعلم » فكان فصله عبارة واحدة فقال: — « ان الدكتاتورية تعني التكميم من كل ناحية وهذا يعني منع النمو . اما العلم فلا يزدهر إلا في جو من حرية البحث والرأي » . وإذن فالدكتاتوريات تستطيع ان تدمر أصول الحضارة ولو لم تخض حرباً. أما الأمم التي لا تخضع نفوسها وتأبى ان تفرغ عقولها في هذا القالب الضيق كأقدام الصينيات فحضارتها لا يمكن ان تدمر ولو دمرت الحرب مغانيها. فالخطر الذي تتعرض له الحضارة هو خطر النزول عن هذه المبادىء ومنحها السلطان المطلق للدولة فيغدو الفرد المستبد به شيئاً في عجلة في آلة ضخمة . وفي غير ناحية واحدة من نواحي الحياة الحديثة بعدنا البعد كله عن معنى الحضارة الأصيل. قيل للانسان يجب أن تعمل فعمل ثم قيل له يجب ان تحارب لتصون حقك في العمل . ثم جاء من يقول له ان المدافع يجب أن تقدم على الزبدة . وان الموت وأنت لابس حذاءك العسكري أنبل وأشرف من الموت في سريرك وقد نزع حذاؤك العسكري. فنحن نعود الى الضيعة الأولى غير ان تكون لنا حريتها الأولى فنخسر من الناحيتين

ان ما تحدثه الحرب من التدمير يبعث على اعتصار قلوب من تتبعوا سير الانسان على هذه الأرض وما بذل من عقله وعرقه وكيف اضطهد وعذب لينشىء ما أنشأ. ولكن هذا التدمير وحده لا يهدد صميم الحضارة بقدر ما تهددها النظرة المتغيرة في القيم الاخلاقية والنظم السياسية الأساسية . ان هذه النظم تنطوي على حريات الانسان وامتيازاته الطبيعية فتخضعها لغريزة القتل القومي . ومنزلة غريزة القتل غدت متفوقة على منزلة غريزة الحياة في نظر طائفة من الدول

وليس ثمة ريب في أنهُ إذا سلمنا بأن هدف الدولة هو التنظيم لأجل الحرب والفتح فالدولة المستبدة أتم وأكفأ . ولكن اذا سلمنا بأن هدف الفرد وتمتعهُ بنعم الحضارة هو هدف الدولة ، فليس في كفة الدولة المستبدة ثقل واحد يرجحها في ميزان المعنى ويخطىء من يظن ان الآلة والحرب يدمران الحضارة الحديثة بقدر ما يدمرها الميل الى التخلي عن حقوق الافراد الاصلية

في وسع الحضارة ان تزهر بعض الازهار وأن تثمر بعض الاثمار في أحضان الفاقة والخطر والخراب اذا كانت عقول الناس حرة ونفوسهم غير مكبلة بالأصفاد . ولكنها تذوي وتموت ولو كانت راتعة في بحبوحة من العيش والرخاء اذا كان العقل مكبوتاً والروح مقيدة . ان غريزة الحياة أساسُ حيوية الحضارة وستبقى أبداً مولدة سائرة الى الأمام ولا بد لها في حينها الموقوت من ان تستأنف السير في طريق العلم والفن والأدب نحو آفاق جديدة . ولكن هذه العدرة الكامنة فيها تأتي على كل إنسان حر مهمة عظيمة وهي مهمة تبيُّن الخطر الذي يهدد عزيزة الحياة سواء أكان في غمار حرب أم في مكان وبدن كل تقيس لدفعه

# من أنت ؟

نشأت صالحة[1]

أستاذ محاضرة الفلسفة بجامعة بيروت الأميركية

كل شيء في حياتنا يتوقف في النهاية على تصورنا لأنفسنا ، فإن شرحتَ لي كيف تنظر الى نفسك ، استطعتُ أن أعين لك جميع خطوط حياتك تعييناً وافياً . ولذلك فإن أجبتُ عن أزعم اليوم أمامكم أن الانسان صانع نفسه ، فإنما أعني بهذا أن جميع مظاهر حياته ، من سلوك وتفكير وعاطفة ، انما تتحدر في النهاية من فكرته عن نفسه

وتتصارع اليوم في البلاد العربية — أعني في عقلي وعقلكم — نظرات مختلفة الى طبيعة الانسان ، تحاول كل واحدة منها أن تتشعب في متضمناتها الى ان تحيط بكامل الحياة . ومرادي أن أتناول بعضاً من هذه النظرات بالشرح والتحليل محاولاً أن أخلص منها جميعاً الى نظرة هي ، في رأيي ونظري ، النظرة الصائبة عن طبيعة الانسان ، أعني طبيعتي أنا ، وطبيعة كل واحد منكم فرداً فرداً

وان يسمح لي مجال الحديث ولا مناسبته بأن أتعمق في هذا البحث الأساسي ، لأنّ إيفاءه هذا الموضوع حقه يقتضي مني بعد كل نظرة أن أنقدها على ضوء النظرة الأخيرة التي آخذ بها ، حتى تظهر بعيان أخطاء جميع النظرات التي تقصر عن الحقيقة الكاملة كما هي . وعملية النقد هذه تستغرق وقتاً وفراغاً ليسا مع الأسف في متناول حريتي . لذلك سأقتصر في هذا الخطاب على عرض النظرات عرضاً موضوعياً ، مكتفياً بمجرد التلميح هنا وهناك خلال البحث الى الخطوط النقدية الاساسية التي لو كان لديّ متسع من الوقت ، لرسمتها بأوفى ما أستطيع من الدقة والضبط . مرجئاً هذا الرسم الى فرصة كفاية أو خطابية أخرى

## النظرة المصورية

أما النظرة الأولى فهي ما أطلق عليها عبارة « النظرة المصورية » . هذه النظرة تعد الانسان في مرتبة الأوني حيواناً ، مؤكدة على وظائف أعضاء جسمه في تعيين كيانه فإن « فكر » أصحابها « تفكر » مثلاً « ولا يخطر لهم إلاّ خلجات اندمج تفاعل بعضها مع بعض تفاعلاً كيميائياً

[1] هذه المحاضرة ألقيت في ملتقى وسط في الجامعة الأميركية في بيروت يوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٥٠

— كهربائيًا ، وان « فكّروا » بالمظاهر الروحية ، كالعلم والفن والفلسفة والدين ، فلا يرون في هذه إلا أدوات لارضاء شهوات الانسان الجسدية . فالانسان بحسب هذه النظرة ، هو حيوان مركب لا يوجد إلا لتحقيق اطماع جسده . فهو انما يفكر ويعمل ويخطط الخطط لكي يوفر آخر الأمر الوسائل التي تمكنهُ من سد حاجاته الحيوانية ، فنحن نعيش لكي نشبع معدتنا طعاماً ، ونكسي غرائزنا استمتاعاً . وبما أن الجسد هو هكذا محور كياننا ، وجب علينا بذل قصارى جهدنا اعتناء به ومحافظةً عليه . ولذلك تبرز القيم الجسدية بروزاً واضحاً في التقديرات النهائية لهذه النظرة . أما تلاميذ هذه الفلسفة فهم كل من اتخذ الجسد المعيار الأول في الأحكام الأخيرة ، كبعض الأطباء مثلاً وبعض البيولوجيين والفسيولوجيين والسلوكيين ، وكذلك كل انسان يعتمد في النهاية على القوالب العضوية في تفكيره عن نفسه . ولذلك اذا نحن سألنا أحد القائلين بهذه الفلسفة العضوية : من أنت ؟ ، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على أن يضع نظرته النهائية الى نفسه في قالب كلامي مسؤول ، أجابنا على الشكل الآتي : —

« أنا آلة عضوية مرهفة الدقة معقدة التركيب تتفاعل بطريقة دائمة مع محيطها الخارجي والداخلي . لي نزعات وغرائز طبيعية — حيوانية يجب ارضاؤها . أما الغاية القصوى من حياتي والمعنى الأخير لوجودي فهو اللذة الجسدية الناجمة عن اشباع هذه الغرائز . ولذلك يجب أن أحشد جميع قواي لكي أستمتع في حياتي بأكبر قسط ممكن من شهوات جسدي ، وإلا راحت حياتي عبثاً باطلاً . فأنا أنا بقدر ما أكون حيواناً »

## النظرة التاريخية

هذا هو التصوير العام للنظرة العضوية الى الانسان . والنظرة الثانية التي أريد عرضها هي « النظرة التاريخية » ، أعني تلك الفلسفة التي تعين كيان الانسان بواسطة القوالب التحليلية التاريخية ، زاعمة أنها تفهم الانسان فهماً كاملاً على ضوء التاريخ ، أي باعتبار « العوامل » و « التيارات » و « المجاري » و « الأسباب » و « المؤثرات » و « الظروف » التي انتهت الى خلق الانسان . فهي لذلك لا تكتفي بتحليل الحوادث والأشياء غير الانسانية تحليلاً تاريخياً — سببيًا ، بل تطبق هذا التحليل على الانسان ذاته ، ذاهبة إلى أن الانسان في محض كيانه الانساني ، وليد العوامل والتيارات التاريخية . وأنا بهذا التحديد العام للنظرة التاريخية اجملها تشمل النظرات التطورية على العموم ، أي جميع المذاهب التي تؤلف حاضر الانسان من تآزر العلل الفاعلة في ماضيه ، سواء أشخصيًا فرديًا كان هذا الماضي ، كما في التحليل النفسي ، أم اجتماعيًا — تاريخيًا بعيداً ، كما في تاريخ المجتمع التطوري ، أم عضويًا — تطوريًا ، كما في نظرية النشوء والارتقاء . جميع هذه المذاهب على اختلافها في الأمور الجزئية ، تتفق في أنها جميعاً

تعرض ان الانسان يُحبَّس نفسيّاً واعياً بالاضافة الى الظروف والأسباب الماضية التي تضافرت على خلقه

فأنت لاتكاد تتبرسؤالاً أساسيًّا واحداً أمام الرجل التاريخي حتى يتجه عقله في اتجاه نحو الماضي باحثاً فيه عما يسميه «أسباباً» يضمّ اليها في تعليله للظاهرة القائمة أمامه. فأنا «من» أنا لأن والديّ وتربيتي وماضيّ كانت كذا وكذا. والعرب اليوم هم «من» هم لأن ماضيهم، القريب والبعيد، كان بالتفصيل كذا وكذا. والانسان على العموم هو «من» هو لأن العوامل الطبيعية التي خلقته تدريجيًّا كانت كذا وكذا. وهكذا يذوب الانسان الشخصي الحي المباشر في هذا الماضي الخصب في عوامله، الزاخر بتياراته. ولذلك اذ نحن تقدمنا من الرجل التاريخي وسألناه: من أنت؟، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على أن يصوغ نظرته الأساسية الى نفسه في قالب كلامي مسؤول، أجابنا على الشكل الآتي: «أنا ابن التاريخ لا أنهم نفسي الا أثراً لهذه المجاري التاريخية التي دخلت في تكويني. جسدي هذا ورثته من أبويّ وبالتالي من الجنس البشري الذي انتمي اليه. أما خلقي وأفكاري وعاداتي ولغتي ودينيّ، فهذه جميعاً ورثتها عن آبائي وأجدادي، ولا طاقة لي البتة على ردها أو تغييرها. فأنا لا أنهم ناحية واحدة من كياني الشخصي الا اذا أرجعتها شيئاً فشيئاً الى ذاك وهناك غريقة في القدم ولذلك أجدني تحت رحمة ماضيّ، مكبلاً بقيوده وأسبابه، لا أستطيع أن أحيد عن تعيينه لذاتي قيد أنملة. فعندما اتقهقر بنفسي الى ظروفي الماضية، عندما أذيب كياني في التيارات التي نشأت منها، عندما أتطفل بذاتي في حياة الماضي المظلم الغامض القصيّ، عندما أقارن وضعي الحاضر بأوضاع أسلافي السابقة، عندما أعود بنفسي شيئاً فشيئاً الى الوراء حتى أتلاشى في لجة لاتختلف في القدم والظلام والبساطة عن لا شيء، عندئذ فقط أفهم نفسي وأعرف من أنا»

## النظرة الصوفية

هذه اذن هي النظرة التاريخية الى الانسان. أما النظرة الثانية التي أود أن أمرّ عليها مرًّا سريعاً فهي ما أسميه «النظرة الصوفية». الصوفية تؤكد على أن بين الانسان وبين الكون وحدة نوعية، فأنا أنا بقدر ما أشعر بهذه الوحدة وأعيش وفق مقتضياتها. فهذا الحشب لايختلف نوعاً عني أو عنك. وهذه الدودة لا تختلف كيفية عن سفرجل أو عن دوستيافسكي، وهذا النون الأزرق لا يختلف صفة عن رواية هملت أو عن السمفونية الخامسة لبتهوفن واذن فالكائنات جميعاً تقع في النهاية بموجب هذه النظرة على نفس المرتبة لكي يكون من الوجود. وما غاية الانسان القصوى الا أن يشعر، وهو مغمض العينين بتلك الوحدة الدافقة التي لاشك تسطو

عليه اذا ما شعر باخاء الحشب وقرابة الدودة والألوان . وبما أن الصوفية تطمس هكذا التميزات الكيانية بين الأشياء ، فهي لا تستطيع أن تعتبر شخصية كل شيء بحد ذاته فاصلة اياه فصلاً مطلقاً عن أي شيء آخر ولذلك تنقصها مقدرة التمييز بين الخطإ وبين الصواب ، بين الخيال وبين الواقع ، بين الوهم وبين الحقيقة ،غير عابئ بالبحث عن مقياس صحيح تستند اليه في تطبيق هذا التمييز . أما الصوفيون في البلاد الغربية فكثيرون ، مع إنهم قد لا يطلقون هذه اللفظة على انفسهم . فكل رجل يتخذ شعوره وعاطفته وخياله محكما لحقيقة هو صوفي في جوهره وكذلك كل رجل يبغض العقل ويهرب من التميزات الفكرية غير مؤمن بالعلم والفلسفة . وأنا أزعم ان الشعراء على العموم هم صوفيون في نظرتهم الى أنفسهم ؟ ومعلوم ان العالم العربي يمج بالشعر والشعراء واذا نحن تقدمنا من الصوفي وسألناه بتؤدة واحترام : من أنت ؟ ، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على ان يعبر عن نظرته الى نفسه بقالب كلامي مسؤول أجابنا على الشكل الآتي : — « أنا ؟ ! لا أدري من أنا ! ولكني أشعر في بعض الأحيان بألفة تامة بيني وبين هذا الكون . في هذه اللحظات النادرة اتحد بالكون اتحاداً وثيقاً وأعرف من أنا : أعرف أني والكون ذات واحدة. عندئذ تفنى التميزات الحية — العقلية بين الأشياء ويصبح كل شيء واحداً احداً . في هذه الحال أغيب عن الوعي العادي وأغوص في لجة من اللاوعي تتفجر معها نفسي عن جداول رقراقة من الشعر الخالص ترن رنيناً موسيقياً لجميع ذرات الوجود . وهذه هي غاية وجود الانسان : أن يكون الكون ! وكل كيان دون هذا وهمٌ وخداع . أما اذا عدت فوق كل هذا وسألني من أنا ؟ ولماذا وجدت ؟ وهل لي روح ؟ وما هي علاقة روحي بجسدي ، وعالمي بحسي ؟ فأجيبك على كل هذا بلسان إبي ماضي :

حثت ، لا أعلم من أين ، ولكني أتيتُ
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ ؟ كيف أبصرت طريقي ؟ ... لستُ أدري

أنا لا أذكر شيئاً من حياتي الماضيه
أنا لا أعرف شيئاً من حياتي الآتيه
لي ذات غير أني لست أدري ما هيه
قل لي عرفت ذاتي كيف ذاتي ؟ لستُ أدري »

## نظرة الاشتراكية المادية

والنظرة الرابعة الى الانسان هي « نظرة الاشتراكية المادية » ولا يهمني من الاشتراكية في هذا الحديث الا ما تتضمنه من عقيدة أساسية بشأن طبيعة الانسان فكل ما تقوله ، مثلاً ، عن توزيع الثروة توزيعاً عادلاً وعن ضرورة ضمان العدل الاجتماعي وعن الغاء النظام الرأسمالي الطبقي وعن القضاء على الاستثمار وعلى امتلاك الحكومة لمرافق الثروة ، كل ما تذهب اليه من ان التاريخ حركة وانتقال دائمان تتحكم فيهما القاعدة الديلكتيكية التي كشفها كارل ماركس ، جميع هذه المقائد لا أريد ان أتصدى لها هنا ، لأن هدفي النقد بحتي هو أن استخرج من الاشتراكية المادية الفكرة التي تنتهي بها بشأن الكيان الانساني ، بقطع في أن كل شيء آخر تذهب اليه يتوقف آخر الامر على نظرتها الى الانسان . فما هو اذن ، بالاحرى من هو الانسان في نظرة الاشتراكية المادية ؟ الانسان — أعني أنا وأنت — هو بحسب الاشتراكية المادية من « المادة » الهائية قسرا التي يتألف منها هذا الكون المادي ، وتواميس هذا الكون هي بعينها التواميس التي تضبط حياته بيد من حديد . نشأ الانسان من الحيوان ، وتطور وفقاً للنس الداروينية المألوفة ، ولذلك فالتواميس الفيسيولوجية التي تتحكم في سلوك الحيوان تتنقل بجملتها الى الانسان مبيّنة كيانه . فالعقل ومظاهره ، والروح باعلانها عن نفسها ، وكل ما ينطوي تحت لفظة ثقافة ليس في الحقيقة سوى مظهر مادي لسلوك هذا الجسم المادي المؤلف من دماغ وعضلات وعظام . ولذلك فللانسان حاجات عضوية أساسية ، كشهوة المعدة وشهوة الغريزة الجنسية ، لا مفر له من إشباعها . من هنا نفهم كيف ان الأنانية هي القاعدة الأولى لتصرف الانسان ، لأنانية التي تقتضيها ضرورة اشباع حاجاته وشهواته . ومن هذه الضرورة الطبيعية تنشأ حتماً النزعات بين الأفراد والجماعات ، وتتطور بحسب الناموس الديلكتيكي الذي شرحه كارل ماركس في مصنفاته ، تابعاً جوهره على الفلسفة هيجل سلفه . ولنسأل اذا نحن تقدمنا من الاشتراكي المادي وطرحنا عليه هذا السؤال : من أنت ؟ ، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قادراً على ان يركب نظرية الأساسية الى نفسه في قالب كلامي مسؤول ، أجابنا على الشكل الآتي : — « أنا في الدرجة الاولى كائن اقتصادي — مادي ، لي حاجات في الحياة يجب اشباعها . سألتني اولى هي الاهم ، أو بالأحرى مصلحة الطبقة الاجتماعية التي أنتمي اليها ، في سبيل خدمة هذه المصلحة أسوّغ كل شيء لان قاعدتي الأدبية الأساسية هي ان الغاية تسوّغ الواسطة . اما القول المسمون بالمبادىء والاخلاق والقيم الروحية فهذا كله خداع وتضليل من قبل الطبقة المسيطرة . فما انا في كياني سوى ظاهرة مادية بحتة أخضع لتواميس المادة والحياة والاجتماع ، وخصوصاً لقانون الديلكتيكي — المادي كما يتمثل في حرب الطبقات.

من كل هذا ترى اني من جميع جوانب حياتي عبد طائع لقوى طبيعية لا أثر قط لارادتي فيها، عبد لنواميس المادة، عبد لنواميس الحياة، عبد لحاجاتي وشهواتي، عبد لأنانيتي، عبد، فوق كل شيء، لمصلحة الطبقة الاقتصادية — الاجتماعية التي انتسب اليها، هذه الطبقة التي تفرض عليَّ من النظم والأفكار والمثل ما يجب عليَّ أن أتبناه وأسعى الى تحقيقه ومن الحركات التاريخية ما يجب عليَّ أن أنضوي تحت لوائه »

## النظرة القومية

وتحاوي هذه النظرة الاشتراكية المادية في عالمنا الحاضر حركة لا تقل عنها إصالة وعمقاً، هي «الحركة القومية». ولا أظن باحثاً يستطيع ان يعالج موضوعاً اساسيًّا واحداً في هذا العصر دون أن يصطدم بادىء ذي بدء بالقومية ومظاهرها. وما مهدتُ به الى النظرة الاشتراكية يصح كذلك أن أمهد به هنا، وهو اني لا أتلمس من القومية الاَّ الفروض الأساسية التي تفرضها بشأن طبيعة الانسان، لأن الانسان، كما قلت، يعين بنظرته الى نفسه جميع نظراته الى الأشياء. القومية تقول إن الانسان في ذاته قومي، أي انه لا يتم كيانه الاَّ بانتمائه انتساباً فعالاً الى أمة معينة. والأمة بالمعنى القومي هي جماعة من البشر تؤلف بينهم على العموم جامعة اللغة الواحدة والماضي الواحد والعادات والتقاليد الواحدة والتفاعل الاجتماعي الواحد والاهداف الواحدة، وفي معظم الأحيان كذلك جامعة الدم الواحد والدين الواحد والحكومة الواحدة. هذه الوحدة التاريخية الاجتماعية المركبة تشكل ثقافة واحدة تنتظم فيها ملكات الأمة جميعاً. فالانسان اذن انسان بقدر ما يندمج في قومه اندماجاً صميماً، مشتركاً معهم من أعماق قلبه في كل ما يجتازونه من محن وأزمات. « العصبية القومية »، « الغيرة القومية »، « الشرف القومي » « المصلحة القومية »، « الزهو القومي »، « الرسالة القومية »، « الوعي القومي » — هذه هي الفكر الاولى التي تقيس عقل الرجل القومي، وهي جميعاً تفرض ان الانسان، بقدر ما يريد ان يكون انساناً، يجب ان يمارس مسؤولياته ووفاءه في الدرجة الاولى نحو أمته. واذن اذا نحن سألنا الرجل القومي — أعني اذا سألنا بعضنا بعضاً — « من أنت ؟ »، وكان أميناً مع نفسه صريحاً معنا قديراً على أن يضع نظرته الى نفسه في قالب كلامي مسؤول، أجاب على الشكل الآتي : « أنا لا أعرف عن حقيقة نفسي الاَّ أني انتمي الى هذه الأمة الجيدة. أدبُ عنها الضيم، محاولاً جهد طاقتي ان أرفع شأنها بين الامم. لأمتي ماض عريق في القدم والمجد ازهى به، ولها كذلك بإذن الله مستقبل مجيد سأؤدي فيه رسالتها الفذة الى الأمم طرًّا. من واجبي ان أفكر تفكيراً قوميًّا وأن أحيا حياة قومية، وهذا يقتضي ان أقدر الأشياء على ضوء مصلحة أمتي العليا، ما يتفق مع هذه المصلحة هو خير، وما ناقاها فهو شر،

وليس ثمة في الحقيقة ميزان للخير والشر غير هذا الميزان القومي . العضوية والفسيولوجية والسلوكية لا تفيد قومية كثيراً أو قليلاً ، أما التاريخية فمن صميم قوميتي ، لأن أمتي من صانعي التاريخ ، ولقد فأنا آخذ بها . ولي كذلك «صوفية قومية» خاصة غير صوفية الشعراء «فالكون» لدي هو أمتي ذاتها لا أكثر ولا أقل ، وعندما تتحد مصلحتي بمصلحة أمتي ، عندما تحتاج قضيتي بكل ما تحتاج به أمتي من آلام وآمال ، عندئذ أشعر بالسعادة القصوى . أما الاشتراكية فلا آخذ بها إلا إذا كانت اشتراكية قومية . أمتي إذن هي محور كياني كله ، منها استمد وحيي ومن أجلها أحيا ومن أجلها أموت»

## نظرة الناس

بقيت أخيراً نظرة أولئك الذين لا نظرة لهم ، أولئك الذين لا يبالون بالنظر من أساسه فمن هم هؤلاء الذين لا نظر لهم ، والذين لا يريدون ان يكون لهم نظر ؟ من هم هؤلاء الذين بالرغم من أنهم يكرهون النظر والنظريات ، فكل شيء في كيانهم ينحدر حتماً في النهاية من عدم نظرهم الى أنفسهم ؟ هؤلاء هم ، أيها السادة ، الأغلبية الساحقة من البشر ، فأنا أعرف حق المعرفة ان أصحاب الرأي والنظر — وخصوصاً أصحاب ذاك الضرب من النظر الذي ينظر الانسان به الى نفسه — أقول إن أصحاب الرأي والنظر تكاد تبحث عنهم عبثاً بين بني البشر . أنا أعرف حق المعرفة ان العضويين والتاريخيين والصوفيين والاشتراكيين والقوميين ، وبكلمة أخرى أولئك الذين ينظرون ولو بعض النظر الى أنفسهم ، هم نفر من أقل الأنفار عدداً . أما معظم البشر فلا يعرف حقيقة نفسه ولا يتعرف اليها . ولكي أستطيع الاشارة فيما يلي الى هذه النظرة الغائبة أطلق عليها عبارة « نظرة الناس » . وبما ان الناس ، بهذا المعنى التكنيكي ، غائبون هاربون فانهم ، فعن لا نستطيع ان نفرض أنهم ينظرون مع أنفسهم ، ولا أنهم صريحون معنا . ولذلك لا يمكن أن نتوقع منهم تركيب نظرتهم الى أنفسهم في قالب كلامي مسؤول فنأخذ نحن على عاتقنا أمر هذا التركيب بالنيابة عنهم . فمن هم الناس ، وما هي نظرتهم الخفية الى أنفسهم ؟

الناس ، حفظهم الله ، لا ينظرون الى أنفسهم ، وذلك لسببين : أولاً لأن ليس هم نفس ينظرون اليها ، وثانياً لأنهم يؤثرون النظر الى غيرهم . وهذا الغير الذي ينظرون اليه هو عينه ما يسمونه « الناس » . فالناس لا يفكرون إلا بالناس ، بما فعل الناس وما قال الناس وما يجتمل ان يقول الناس . يرمي الناس من حياتهم في الدرجة الأولى الى اشباع اهوائهم وشهواتهم ، ولذلك فقد آمن كثيرون منهم بمجرد هذا الاشباع جعلوه ممكناً هم لهم يسمونه . كي نقل عنهم دوستويفسكي في فصل « قصير لفايش الأعظم » في مذكرات خالد « أحسن كارمزوف »

فبدأ الناس الأول هو تشدقن اللذة واجتناب الألم ، وكل ما هو شهي لذيذ ، لذيذ للجسد ولذيذ للعين ولذيذ للسمع ، يتدفق له لعابهم تدفقاً . أما كلام الناس فيفيض غزير من الثرثرة و « القيل والقال » يلتونهُ ذات اليمين وذات اليسار عن أي موضوع تطرحه عليهم ، فهم يعرفون أسرار الحرب الحاضرة كلها ، ويعرفون كذلك من الآن كيف ستتطوّر وكيف ستنتهي . واذا دققت فيما يقولون تلفه مشبعاً من أوله الى آخره بالغموض والتشت والتيهان ، وهذا بالطبع لا يضيرهم في شيء لأنهم عمل حد قولهم هم ، لم يدفعوا ثمن ما يقولون . ويتحالف مع هذه الثرثرة المتخبطة في الغالب طابع يطبع الناس في أخص كيانهم ، هو فضول شغوف بالأخبار الجديدة ، والقصص الشهوانية ، والحكم المتناثرة غير المترابطة . ولا يرمي هذا الشغف الفضولي الى المعرفة الحقيقية أعني الى الاحاطة بطبائع الأشياء كما هي ، لأن الناس أبعد الناس عن الاهتمام بالحقيقة كما هي ، بل يرمي أولاً وآخراً الى مجرد الاطلاع الخارجي ، حتى يتمكن الناس من القول فيما بينهم أنهم عرفوا كذا وكذا ، وهم في الحقيقة شيئاً حقيقيًا واحداً عن كذا وكذا لا يعرفون . اما خيال الناس فمن الخصب والجموح بحيث لا يعرف حداً ولا قيداً اذ أبغض شيء على الناس ان يكبحوا جماح خيالهم في منبط وتدريب والباعث الاول والاخير في خيالهم الشارد هو مصلحتهم الأنانية ، هذه المصلحة التي تملي على تفكيرهم خطوطه وتعيّن له آفاقه بحيث لا يستطيعون ان يتحرروا من ربقة طغيانها لحظة واحدة . أما عاطفتهم ومزاجهم فيتقلبان مع الأيام ، بل مع الساعات والدقائق كريشة في مهب الريح من حال الى حال ، ويتخذان لوناً أو لون ، حتى أنك تعجب هذا الخلق المرن الذي باستطاعته ان يكون كل شيء دفعة واحدة . أما نكاية الناس بالناس ودس الناس للناس وحسد الناس من الناس ، وعتاب الناس للناس وشحناة الناس بالناس وتمنين الناس للناس ، فحدث عن كل هذا ولا حرج . وأخيراً اذا راق للناس ان يستمعوا الى خطاب في حفلة من الحفلات فلا يهمهم من أمر الخطاب ما أثاره الخطيب من مشاكل حقيقية بقدر ما يهمهم ما تضمنه الخطاب من تنميق زائف وسجع خداع وأثارة للعواطف والشهوات ، فبدلاً من ان يتحدثوا بعد انتهاء الخطاب عن الموضوعات التي طرقها الخطيب تجدهم يثرثرون في غموض ما وراءه غموض عن بلاغة الخطيب ودبلجته وأسلوبه والفائه و « لذيذ » شعره ، كأن الحياة بكاملها لا تستقل أمامهم إلاّ في التمثيل المسرحي والتركيب الفني . وهكذا يقضي الناس ما يسمونهُ « حياتهم » بلا نفس ينظرون لها ، في شهوة طاغية وخيال جامح ، ثرثارين ، تائهين في براري النسف والابهام ، قصوبين ، متقلبين بين الأهواء والأغراض ، ساجدين لبل نهار للتمنيق السجعي ، منصرفين عن لباب الحياة الى قشور الحياة

ولا يخطرنَّ ببالكم لحظة واحدة ان الناس صنف خاص من البشر غير صنفنا ، لا تظنوا

ان الناس يتصورون مرتبة أحط من مرتبتنا كلاً فالناس لفظة كلية تكتنفها أطلقها على نوع خاص من كيانه الشخصي جميعاً . ذلك النوع الذي نكونه عندما نمثل الدور الذي وصفت . ونحن في الغالب نكون في هذه الدور ، لأن الظروف التي نحقق فيها أسمى كيان شخصي نملك فوق ثروة الناس وحسدهم وإعجابهم ، هي لحظات نادرة جداً من حياتنا . وما نحن الناس بأكثر ما نكون عندما نعتبر أنفسنا أرفع من الناس

هذه هي النظرات الست التي أردت عرضها عن طبيعة الانسان . والآن أحب أن أذهب الى القول بأن هذه النظرات ، على تفاوتها الشاسع في الخطأ والصواب ، وفي الواقع والتجريد ، فهي جميعاً لا تصور الانسان على حقيقته . بل أذهب الى أبعد من هذا ، زاعماً أن الانسان انما يهرب من مجابهة حقيقة نفسه الأصلية اذا أمعن في تفسير نفسه على أساس أي من هذه النظرات

## النظرة الاصيلة

يستوي الانسان على مرتبة كيانية يمتاز بها امتيازاً مطلقاً عن اي كائن سواه . هذه المرتبة الممتازة هي الشرط الأساسي لنهوض حق هذه النظرات الست التي شرحت . الانسان هو اولاً من هو ، ومن ثمة هو « ما » تذهب اليه هذه النظرات . فمن هو الانسان في كيانه الأصلي ؟

الانسان — أعني أنا وأنت — يستخدم الآلات والأدوات من أجل غايات بعيدة بعقلها ، فاذا نحن حذفنا وسائل الحياة البشرية ، من كلام وبيوت وسيارات الى ما هنالك من أدوات الحياة التي لا نهاية لها ، لم يبق معنى شيء اسمهُ « انسان » واذن الانسان هو وسائل كيانه

لأني الانسان يهتم بشتى الامور فهو اليوم يهتم بشغله ، وغداً بزواجه ، وبعد غد بأولاده ، ولذلك تكتنف الانسان دائماً وبداً من جميع جوانب حياته مشاكل وهموم لا يستطيع الا أن يعيرها بعض انتباهه أو كله . فاذا أزلنا تماماً هموم الحياة الكيانية لم يبق معنى شيء اسمهُ « انسان » . ولذلك فالانسان هو في صميم كيانه مهموم ، ومن يهرب من هموم الحياة ومشاكلها يهرب في الحقيقة من انسانيته

الانسان هو الوحيد بين سائر الكائنات الذي يرمي عن عقل وبصيرة الى امكانيات قريبة او بعيدة . وهو لذلك يرسم الخطط عن وعي ، ويحاول في الحال انفاذ الاجزاء المنفذة لها . فاذا حذفنا امكانيات الانسان المستقبلية أمامه الى آفاق بعيدة او قريبة ، لم يبق معنى شيء اسمهُ « انسان » . اذن فالانسان هو امكانيات كيانه ، وما الموت سوى فناء هذه الامكانيات

وبما ان امكانيات الحياة تقع في شيء اسمهُ « المستقبل » نجد الانسان مهتماً فوق كل شيء بمصيره ومستقبله . فنحن لا نهتم شيء على الاطلاق بقدر ما نهتم أن نعرف حجب الغيب لنتفذ

الى ما يضيره لنا المستقبل، والانسان الذي لا يفكر في مستقبله ومستقبل من يحب ليس بانسان، كما أن الأمة التي لا تنزع في الدرجة الاولى الى مستقبلها ، مضحية بكل ما يتنافى مع ذلك من ماضيها مهما يكن هذا الماضي عزيزاً غالياً ، ليست بأمة حية ، ولن تكون « أمة المستقبل »واذن فالانسان هو مستقبل وجوده ، ومن يُشغل مستقبل امامه لأي سبب من الأسباب، تسقط في الحال عنهُ انسانيته ، ويصبح مادة جامدة او عبداً لا ارادة له

ومن امكانيات الانسان ان يسقط الى مرتبة الناس مذيباً نفسه في ترترتهم وفضولهم وغموضهم . وهذا بالفعل ما يحدث لكل واحد منا يوميًّا ، لأننا جميعاً بشر . ولكن في الوقت ذاته يستطيع الانسان أن يرتفع الى ذروة الكيان الأسمى ، حيث المسؤولية المطلقة في كل شيء . في هذا الكيان يرى الانسان نفسه كما هي ، مميزاً بين امكانياته الحقيقية وبين أحلامه الوهمية . واذا اختص الانسان امكانياته التي يستطيع في الحقيقة ان يقدم ويؤخر بها ، نابذاً أوهامه التي لا يقدر بشأنها ان يتخذ قراراً حاسماً واحداً ، عندئذ تنطلق نفسه حرة من قيود نفسه ، وتتجلى الأشياء أمامه بصفاء ما بعده صفاء . ولذلك فالانسان هو هذه الامكانية الثالثة، إما سقوطه الى حضيض الناس وإما ارتفاعه الى أوج الكيان الأسمى

الانسان ، بقدر ما هو انسان ، دائماً وأبداً يفهم شيئاً ، سطحيًّا أو حقيقيًّا ، عن نفسه وعن عالمه . هذا الفهم الماثل يصاحبه في حياته منيراً له خطى سيره . فاذا حذفنا من الانسان عقله الفاهم لم يتبق ممنا شيء اسمه «انسان» . واذن فالانسان هو عقله وفهمه

لا يكون الانسان انساناً الاَّ بالتفاعل الحيوي المتواصل مع الغير ، فالانسان ما دام انساناً لا بدَّ أن يكون على تفاهم مع غيره ، سطحيًّا كان أم أصيلاً . أما اذا انعزل الانسان الى جزيرة نائية بعيداً عن التفاعل الاجتماعي المسؤول فسرعان ما تنتفي عنه انسانيته . واذا لاذ أحدنا بكهف ذاتي منفصلاً من تفاعله الاجتماعية الفعالة — وما أكثر الكهوف التي يخلقها الانسان عاريًا منهربًا — خفت فيه مع الزمن حدة انسانيته ، وأخذ ينطق بالشعر الصوفي الذي لا يتم على أي تقدير لحقائق الاجتماعية الصارخة .واذن فالانسان هو تفاعله الاجتماعي ومسؤوليته الاجتماعية

يظل الانسان ، ما دام انساناً ، قلقاً على هذا او ذاك من الكائنات التي تحيطه ، ولكنه في صميم ذاته قلق في الدرجة الاولى على كيانه هو . ولا يوجد كائن غير الانسان يستطيع أن يقلق على وجوده ، ثم يعرف بعد أن كلفه قلقه ليله قلقاً على وجوده أو عدم وجوده . واذن فالانسان هو قلقه الكياني

يخجل الانسان في حيرته وارتباكه ، وهو اذ يخجل يشعر بجرمه ، فيتوب عنه أو لا يتوب .

وفي كلتا الحالين يتوقف شيء في كيانه اسمه الضمير ، ويبلغ به احياناً تأنيب ضميره الى درجة من العنف تدعوه الى الانتحار . ولم يعرف عن حيوان قط وجهه علائم احباط والخجل ، وبتفه ضميره حتى ينتحر . لذلك اذا نحن حذفنا هذه المظاهر من كيان الانسان لم يبق منه شيء اسمه « انسان » ، بل شيء لا يصلح الا ليُزج في غياهب السجون أو ملاجيء المجانين .

زاد فاذا خجلي وحيرتي وشعوري باجرامي وتأنيب ضميري ، ومن يقتل في ضميري بعض انسانيتي في الصميم

يتمتع الانسان بحرية ذاتية يستطيع ان يمارسها فوق اي قيد يقيده به الطبيعة والظروف ولولا هذه الحرية الأصلية لما تمكن الانسان في الماضي من التغلب على الطبيعة والظروف ، ولما تمكن من خلق العلم والفن والتنظيم الاجتماعي الذي يعيش في كنفه . انما الانسان او الأمة التي تخضع للقضاء والقدر ، أيًّا كان الاسم الذي تطلقه على القضاء والقدر ، ولا تحارب في سبيل حريتها ، فسرعان ما تفقد حتى الطيف الضئيل من الحرية الذي تتمتع به ، قاضية بذلك على كل ما يطبعها من المزايا الانسانية . فاما اذن حريتي واختياري ، ومن سلب مني هاتين الصفتين سلبني بكاملي

تفرض هذه الحرية الحقيقية وجود ارادة في الانسان تمكنه من اختيار ما يختار . فالانسان يريد هذا او ذاك من الأشياء ، او لا يريده . واذا حذفنا مظاهر الارادة من الحياة : مظاهر العناد والتشبث ، مظاهر الامتلاك الشخصي ، والتمييز الشخصي ، اذا حذفنا تعارض الارادات بعضها مع بعض ، واشتباكها بعضها ببعض ، وصراعها الدائم بعضها مع بعض ، بين افراد الأسرة الواحدة . وبين الأصدقاء وبين أفراد الأمة الواحدة ، وعلى المسرح الدولي العام ، اذا حذفنا جميع هذه المظاهر الارادية من الوجود ، حذفنا بذلك الانسان نفسه . فاما اذن ارادتي الشخصية ، ومن قتل في إرادتي ، قتلني بكليتي

الانسان يحب ويتفانى في حبه . ونعتقد نحن ان الله خلق العالم بدافع حبه . فقد تنحى الحب الطاهر بنوعيه الغريزي والعذري الى جانب مقدسة من كيان انساني لا يفقه الانسان العضوي لها معنى ، ولا يعرف الانسان التاريخي عنها شيئاً ، ولا يعدو الانسان العضوي أن يتصورها ولا الانسان الاشتراكي ان يشترك فيها ، ولا يسمح للانسان القوي بأن يدخل الى قدسها ، ولا للناس بأن يقولوا عنها كلمة توتره واحدة . واذن فحبي ، ومن يسلب مني حبي ، يسلبني بكاملي

يكون الانسان انساناً بالقدر الذي يقدر به الفكاهة ويضحي في سبيلها . فالانسان الذي لا يفهم ولا يريد أن يفهم النكوم والروح الكامنة الطائفة هذه النكوم ، الانسان الذي لا يقدر

ولا يحاول أن يقدر الفنون والروح الكبيرة خالقة هذه الفنون ، الانسان الذي يهرب من الفلسفة الأصلية خائفاً متجفجفاً ، هذا الانسان ليس في الحقيقة بانسان . والأمم التي لا تشق الثقافة والروح لا تعتبر في الحقيقة على جانب واقر من الكيان الانساني ، مهما تكن قوية في جسدها ، حادة في غريزتها ، مكينة في فطرتها . واذن فأنا تقديري للروح ومظاهرها ، وأنا كذلك انتاجي الروحي ، ومن أضعف في هذا التقدير ، ووقف سداً منيعاً في سبيل انتاجي الروحي ، قضى عليّ بكامله

الانسان إما روح متمردة وإما قلب منسحق . والروح المتمردة تتجه في كيانها نحو الفناء لانها تبغض الوجود . فاذا جاءها بكيان قائم رمت في الحال الى فقده أو نقضه . أما القلب المنسحق فيفرح لكل كيان ولا يتمنى له الا اطراد الرسوخ . القلب المنسحق إيجابي في رغبته بناء في عمله ، ولذلك فجزاؤه في النهاية رؤية الحقيقة كما هي . وإذن فأنا روحي المتمردة او قلبي المنسحق ومن يُنفي في احدى هاتين الامكانيتين ، يُنفي كياني بكامله

فوق هذه التراكيب النهائية لتكوينة الحقيقة الانسان يوجد تركيب هام يتعالى عليها جميعاً ويصهرها في بوتقة واحدة . هذا التركيب الأخير هو كآبة الانسان السحيقة ووحدته المتأصلة . فالانسان كئيب الى أقصى أبعاد الكآبة ، وحيد الى أقصى حدود الوحدة . ولا يفضح كآبته شيء أكثر من ضحكته هذه الصفراء التي يكذبها بصراخ عنيف كل تقطيع من تقاطيع كيانه . أما وحدته فكل حاول ان يهرب منها ملتجئاً الى هذه الاجتماعات الأخوية والسهرات المسلية حيث يتسامر الأصدقاء في جو ثقة وصفاء ، كلما ازدادت تأصلاً وصراخاً . الانسان لا يكون انساناً إلا إذا عرف كيف يكوّن وحدته الكئيبة ، ولا يكوّن الانسان وحدته الكئيبة إلا إذا أثار مشاكله الكيانية الأخيرة وحدّق فيها تحديقاً خالصاً من أي خوف أو وجل . في حضن هذا التحديق الكئيب يقتبس الانسان لهب الحق الخالد ، خالقاً كل ما يشع في كيانه من نور وتور ، وما الخالقون في التاريخ إلا أولئك الذين عرفوا سر الأسرار المكنون منذ الأزل . أعني أن الخلق الروحي انما تفجر الكآبة الحزينة في النفس الصادقة . فمن يمس كآبته كأنه سر شيء في كيانه ، من يعرف كيف يحمل صليبها ويصبر عليه ، من يصبر عليها في غير ثورة ولا هرب حتى تنقلب قيحاً سخيناً من الفرح الداخلي ، من يفهم هذه الأسرار الخفية ويعمل بها ، يمس من لمس كآبته ذاتها فرحاً وجبروتاً يقهرهما العالم كله . فالانسان إذن فوق أي شيء ، هو كآبته العميقة ، ومن لم يعرف الدموع في التهدات لا يسبر غورها غير الله ، لم يختبر بعد نهايات انسانيته . واذن فأنا أرفض أن تكفكف دموعي ، إذ كل دمعة خاصة تفجر مي تنبت في ساعتي وتحملني أعلاً لأن ثروت رمزات الكآبة المتصاعدة في التاريخ

# عيوب المعاجم

## العربية وحاجتها الى معجمين

للامير مصطفى الشهابي

— ١ —

قرأت في العدد ٧٢ وما يليه ( ١٤ مايو حتى ٤ يونيو سنة ١٩٤٠ ) من مجلة الثقافة بحثاً لغوياً ممتعاً للعلامة الأب انستاس ماري الكرملي ، عنوانه « معاجمنا العربية » أشار فيه الى بعض المعاجم القديمة في اليونانية واللاتينية ، ثم تناول الامهات من معاجمنا وذكر جانباً يسيراً مما حوته في طياتها من المعايب والمشائن . وأنهى بحثه قائلاً انهُ احترز « ذكر » ليكون مثالاً لما في النفس من الاعتراضات على تلك المعاجم التي بليت أساليبها بل عفت من دبور أهل الرقي والعمران . فعسى ان تصلح لتجاري سائر الأمم بتقدمها الأدبي ونهضتها العلمية »

وامري إن من ابتلوا بالتفتير عن الألفاظ في تلك المعجمات ، بغية وضع مصطلحات سائغة لعلم من العلوم الحديثة ، يجدون في كتب اللغة هذه الشيء الكثير من الاغلاط والتصحيفات والتقصير في تعريف الألفاظ والخبو من كثير الكلام وتعسير العربي بالأعجمي وتفسير الألفاظ تفسيراً بعيداً عن العلم كل البعد ، وفي اعتقادي ان العيب الاخير هو اكثر العيوب ضرراً

ولما كنت منذ عشرين سنة أجري في كتب اللغة الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون الزراعية اجتمع لديَّ عشرات بل مئات من الأمثلة على تلك النقائص والمعايب . وهاكم بعض الأمثلة على سبيل الاجتزاء

اولاً — جاء في المخصص لابن سيده عن ابي حنيفة . الثأب والصَّنَّار شجرة شجر يعظم ويتسع ولا ثَوْر له ولا ثمر الخ

قلت في هذا التعريف غلط عامي . فالثأب من ذوات الأزهار اي ان له نوراً وثمراً

ثانياً — جاء في القاموس المحيط للفيروزابادي : الأرز شجر الصنوبر او ذكره قلت في هذا التعريف غلط عامي ايضاً . فشجر الصنوبر ليس له ذكر وانثى ، بل له ازهار ذكرية

وأزهار انثوية على الشجرة الواحدة . فالصنوبر يسمى في علم النبات « وحيد المسكن » على عكس النخل مثلاً فهو ثنائي المسكن اي ان منهُ ذكوراً لا يحمل فُنْخُالها الاَّ أزهاراً ذكرية وإناثاً لا تحمل واحدتها الاَّ ازهاراً انثوية

ثالثاً — اذا راجعت لفظة القنْشُب ألفيتهم يعرفونهُ بانهُ نوع من الكتّان أو ضربٌ من الكتّان . والمعروف ان القنب نوع نباتي والكتان نوع نباتي آخر وكلاهما من فصيلة نباتية وليس في تحليتهما تشابه

رابعاً — اذا فتشت في القاموس المحيط عن الصفصاف وجدت الفيروزابادي يقول : الصفصاف شجر الخلاف

واذا فتشت عن لفظة الخلاف ألفيته يقول الخلاف صنف من الصفصاف وليس به

والقارىء يدرك على الفور أن أحد التعريفين على الأقل فيه سقم واضح

خامساً — من الأمثلة على تقصير الكلم بألفاظ أعجمية قولهم ان الكِرْسِنَّة هي الكُشْنَى، والفِصْفِصة الإسْبِسْت، والخَبَق الفُوتَنج ، وحبق الراعي البَرَنْجاسيف ، والبندق الجِلْوز ، والزبل السِرقين ، وحَسَّ الدابة فَرْجَنَها ، الخ

ومن بدائه الأمور ان المرء عند ما يراجع لفظة من تلك الالفاظ في معجم عربي فهو يأمل ان يجد لها تعريفاً مفهوماً لا ان يرتطم بألفاظ أعجمية معرَّبة

سادساً — أغرب ما يسترعي النظر في معاجمنا التقصير المشين في تعريف الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون ولا سيما اسماء النباتات والحيوانات . فمعظم هذه النباتات والحيوانات لم توصف بأكثر من أنها نبات أو شجرة أو حيوان أو طائر او ما اشبه ذلك . وكثيراً ما يضيفون انها لفظة « معروف » كأنه يفرض على المطالع معرفة الأسماء التي يتحراها . وهو لو كان يعرفها او كان يعرف تحليتها لما احتاج الى معجم . فالنسْتُر شجر معروف ، والسنبر بت معروف ، والحنظل معروف ، والسوسن هذا المشموم ، والشحرور طائر وهكذا الى ما لا نهاية له من الألفاظ التي قصروا في وصفها كل التقصير

سابعاً — من الأمور الشائنة ان معاجمنا خلطت عدداً كبيراً من أسماء أعيان النوابت بعضها ببعض لأن أجدادنا العرب القدماء ما كانوا يميزون بينها تمييزاً علمياً ، وما كانوا يهتمون بهذا الأمر وقد كانوا جاهلين بتفصيلات العلوم الحديثة وبتصنيف الأحياء . فاذا فتشت في القاموس المحيط مثلاً عن الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ألفيت الفيروزابادي قد عرف واحدها بالثاني حتى

لكأنها جميعاً شجرة واحدة على حين ان كلاً منها جنس نباتي مستقل عن الآخر تماماً [1]. ولا يمكنني أن أعلل سبب ذلك الخلط إلاّ بكون بعض هذه الأشجار ليست مما تنبته جزيرة العرب . ولهذا قال صاحب العين الأرز هو العرعر وقال أبو عبيد الأرز هو الذي يسمى بالعراق الصنوبر الخ . والتشويش واضح . والأمثلة على الخلط في تسمية أعيان المواليد كثيرة نذكر منها الأوز والبط فهما في كتب اللغة شيء واحد . وكذلك الكركي والسلق . وكذلك اللوز والبندق الخ . وكل من شدا شيئاً من علمي النبات والحيوان يعرف ان الكركي من الفصيلة الصليبية والسلق من الفصيلة السرمقية ، وأنهما بقلان مبذولان ، وأن الفرق في تخليتهما عظيم. أما الفرق في تحلية اللوز والبندق فهو أعظم . فاللوز من الفصيلة الوردية والبندق من الفصيلة البلوطية . ولا تشابه في ساقهما ولا ورقهما ولا أزهارهما ولا ثمرهما ولا تمرهما

وأما البط والأوز فهما وان كانا من فصيلة حيوانية واحدة فان كلاً منهما ينتسب الى جنس مستقل عن جنس الآخر

— ٢ —

يتضح من هذه الأمثال التي لديّ عدد كبير منها ان اطلاق اسم أحد النباتات او الحيوانات على نبات او حيوان آخر شيء لا يجوز البتة في أيامنا هذه وإن جوّزه أجدادنا في السنين الخوالي. ويفيد في اظهار ما لهذه القضية من الشأن ان أضرب لك مثلاً : وهو أني إذا دخلت وإياك حديقة من حدائق دمشق أو لبنان ، ووقفت وإياك أمام خمس شجرات مختلفات الأجناس والأنواع ، وهي شجرة من الصنوبر وشجرة من الأرز وشجرة من السرو وشجرة من العرعر وشجرة من الثوب ، ثم سألتك عن أسمائها ، فلا يجوز ان تجيب بأن الشجرة الأولى لها خمسة أسماء : ( الصنوبر والأرز والسرو والعرعر والثوب ) ، وان الشجرة الثانية لها خمسة أسماء أيضاً : ( الصنوبر والأرز والسرو والعرعر والثوب ) وهكذا حتى تسمي كل شجرة بالاسماء الخمسة على السواء ، وأنت تعرف مثلي ان كلا منها نوع نباتي مستقل عن الآخر ، وان العارفين بالأشجار من أبناء العرب يفرقون بينها بمجرد إنظر اليها ولا يخلطون في تسميتها . وإذا سألتك لماذا هذا الجمع في التسمية؟ أجبتني لان أجدادنا العرب الأقدمين هكذا قالوا ، وهكذا نقل عنهم أصحاب كتب اللغة . فجوابك هذا لا يكون مقنعاً . ولا يرضى به اليوم إلاّ الجامد او الجاهل أو المكابر بالمحسوس . وليس هذا الخلط في التسمية سوى عيب من عيوب المعاجم التي لا بدّ لها من اصلاح

---

(١) انظر ما نشرته في هذا الباب في المقتطف . عدد يونيو ١٩٤٠ ويوليو ١٩٣٩

ثامناً — قلت ان أكثر عيوب معاجمنا ضرراً تفسيرها الالفاظ تفسيراً بعيداً عن العلم كل البعد أو لا يأتلف مع التفسير العلمي المعروف في يوم الناس هذا . والأمثلة على هذه العيوب لا تعد ولا تحصى . خذ لفظة الشجر مثلاً . فالشجرة علمياً كل نبات معمر له ساق خشبية جزؤها الأسفل عار بسيط وفوقه إما مقسق من الورق او عدد من الشعب فالفروع فالأغصان فالأوراق

أما في المعاجم العربية فالشجر من النبات ما قام على ساق ، أو ما استتر بنفسه ، دقّ أو جلّ ، قوم الشتاء او عجز عنه . والفرق بين التعريفين عظيم . فالتعريف العلمي الحديث يشترط ان تعيش الشجرة سنين ، وان يكون لها ساق خشبية ( لا ساق هشة عشبية ) ، وأن تكون تلك الساق واحدة عارية الأسفل . وهذه الشروط كلها لا توجد في تعريف معجماتنا للشجر . ونتج عن ذلك أن الانسان اذا راجع بعض النباتات العشبية في تلك المعجمات ألفاهم يعبرون عنها بلفظة شجرة . فالخشخاش فيها شجرة والكرسنة شجرة صغيرة والخطمي شجرة والشقراي شفائق النعمان شجرة الخ . الخ . على حين أن هذه النباتات التي ذكرتها وأمثالها مما لم أذكره هي أعشاب سنوية لا أشجار بمعناها العلمي الحديث. فتعريف الشجرة في معاجمنا ليس اذن صالحاً لأيامنا هذه الا اذا أردنا أن نكون نحن في واد والعلوم الحديثة في واد

والحشرات مثلاً لا تُطلق اليوم في الاصطلاح العلمي الا على صف معلوم من المفصليات . والحشرة إجمالاً متسقة التركيب . فلها دائماً ثلاثة أجزاء واضحة : رأس وصدر وبطن . وفي الرأس العينان والفم والزوجان «القرنان» . وفي الصدر ثلاث حلقات عليها ثلاثة أزواج من الأرجل لا تزيد ولا تنقص . ولذلك أطلق بعضهم على الحشرات اسم سداسية القوائم [1]

أما في كتب اللغة فالحشرات «الدواب الصغار منها التنفذ والفأرة والحرباء والعظاية والجرذ الخ» . وترى انهم جمعوا في جملة الحشرات حيوانات تنتسب الى صفوف وفصائل مختلفة لا تمت بصلة الى ما اسميه «حشرات» في الاصطلاح العلمي الحديث

هاتان لفظتان ذكرتهما على سبيل التمثيل . ومعظم أعيان النبات والحيوان بل معظم الألفاظ المتعلقة بالعلوم والفنون والفلسفة ليست معرَّفة تعريفاً علمياً في معاجم لغتنا الضادية . وهذه الحقيقة الثابتة خاصة هي التي تجعل تلك المعاجم مشوَّشة وناقصة وفي أشد الحاجة الى الاصلاح . ولا يُطلق ان علماء اللغة القدماء كانوا مقصرين في اداء الواجب للغة الضاد . فهم قد نهضوا

(١) من أراد معرفة ألفاظ المصنوف في الحيوانات الذي ليس جميعها لا في هذا العراق في عددي دير ديسمبر سنة ١٣٥ من المقتطف

يعبء ثقيل جداً وخدموا لغتنا أجل خدمة . وما كان في وسع رجل يعيش في تلك العصور الخالية أن يجيء بخير مما جاءوا به . فالمقصرون هم علماء عصرنا هذا الذين جمدوا ولم يعملوا شيئاً يذكر في سبيل جعل اللغة العربية تتسع لعلوم الحديثة

— ٣ —

## حاجتنا الى معجمين

من أشق الأمور تناول المعجمات الحاضرة بالتهذيب والتنقيح بغية أن تستقيم على ما نريده لها وأهون من هذا تصنيف معجم عربي جديد . وهو ما ندعو اليه في محاضراتنا ومقالاتنا وأحاديثنا منذ سنين . ويجب أن يشتمل هذا المعجم على الضروري من ألفاظ المعاجم القديمة وعلى ألفاظ العلوم والمخترعات والمصطلحات الحديثة . ويجب أن تعرَّف فيه جميع تلك الألفاظ تعريفاً علمياً صحيحاً ، أي على مقتضى المعاني الداخلية في معارف هذه الأيام . ولعلَّ معجم لاروس الصغير في الفرنسية هو مثال للمعجم العربي المدرسي الذي ندعو الى تصنيفه . ويكون من السهل بعد وضعه أن يوسع على قدر المستطاع

أما المعجم الثاني الذي نحن أيضاً في أشد الحاجة اليه فهو معجم فرنجي عربي يشتمل على أصح الألفاظ العربية الناظرة الى الكلم الفرنجية . ومن الضروري أن يتضمن هذا المعجم أهم المصطلحات في مختلف العلوم والفنون والآداب والفلسفة فيكون مرجعاً للمترجمين والمؤلفين الذين ينقلون العلوم الحديثة الى اللغة العربية

ومن هم الذين في وسعهم أن يتولوا تصنيف هذين المعجمين ؟ إن الذي يدرك ثقل هذا العبء يحكم بأنه لا يضطلع به الا جمع من العلماء الذين حذقوا أسرار اللغة العادية وأتقنوا لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية المشهورة واختص واحدهم بأحد العلوم والفنون والآداب الحديثة ولا يجوز أن يتناول الشخص الواحد منهم سوى الألفاظ التي هي في جملة اختصاصه

وإذا تساءلنا كيف يُجمع هؤلاء العلماء على هذا العمل ؟ ومن ذا الذي يستطيع التأليف بينهم فيروض به ؟ فالذهن لا يتجه الا الى مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر . وفي الحقيقة ينبغي ان يكون وضع هذين المعجمين اهم غرض من أغراض هذا المجمع . ويجب أن تصبح همته على تحقيق هذه الأمنية دون ان تمر الأيام والسنون جزافاً . وكم تساءل الغيورون على هذه اللغة هل اتخذ المجمع الملكي نهجاً يتجه في هذا الصدد ؟ وهل طلب من الاختصاصيين المعروفين في انحاء العالم العربي ان يضع كل منهم معجماً صغيراً أو قواميس كافية تشمل الألفاظ المتعلقة

باسم الذي يتقدم ؟ ( على ان تكون تلك الالفاظ مترجمة ترجمة علمية ) . وعلى ان تُذكر بجانبها الألفاظ الفرعية التي تنظر اليها ) . ومتى تجتمع هذه المعجمات او هذه القوائم في المجمع ؟ ومتى يؤلف من مجموعها المعجمان اللذان ننشدهما ؟

***

هذه أسئلة نهم كل من يغار على لغة القرآن . وهي ترد على لسان جميع الأدباء والعلماء في بلاد العرب قاطبة . وعسانا ننتظرون الجواب عنها . فلا اعضاء المجمع ( على علمهم وفضلهم ) بقادرين على تصنيف المعجمين ، ولا هم يستعينون في تصنيف اجزائهما بعلماء العرب والمستشرقين ( اذا كان في المستشرقين من هم جديرون بهذا العمل ) . وهكذا تمر الأيام ومعاجمنا باقية منذ قرون على ما عرفه الفراهيدي وتلميذه الليث وابو عبيدة وابن دريد والأزهري والجوهري وابن سيده وابن منظور والفيروزابادي وغيرهم من اصحاب كتب اللغة . ولعمري لو عاد هؤلاء الأعلام الى الحياة في يوم الناس هذا ، وغاصوا في بحور العلوم العصرية ، وأنعموا النظر في معجمات اللغات الأوربية ، ووجدونا ما برحنا نستعين بمعجماتهم دون غيرها ، لدهشوا من جهلنا وجمودنا ولأشفقوا على هذا اللسان الذي لم تتمكن من جعله بسامت ألسن الأوربيين ، ولا أن يدانيها ، ولا أن يتسع للعلوم الحديثة ولا أن يسد حاجاتنا الملحة الى الضروري من المصطلحات العلمية

وليس العيب عيب اللغة ، بل عيب أبناء هذه اللغة . ومن العجيب أني ما تكلمت في هذا الموضوع مع رجل من رجال الدولة أو من رجال العلم واللغة ، سواء أمصريين كانوا أم عراقيين أم شاميين ، الا وأظهروا لي تصميمهم على بذل وسعهم في مؤازرة من ينتدبون لصنع المعجمين المذكورين . وأتذكر أن الحكومة العراقية كانت في احدى السنين أعلنت رغبتها عن عزمها على المساهمة ماليا في هذا المشروع الحيوي فأين القصور اذن ؟ هو في الأداة التي انما غاية وجودها هو النهوض بهذا العمل وأعني بهذه الأداة مجمع فؤاد الأول للغة العربية في مصر

ولا شك ان الحرب الحاضرة لا تشجع المجمع على المضي في عمل صعب كهذا العمل . ولكن الحرب لم تكن قبل سنة . وهي ستنتهي في يوم من الأيام . فعسى ان لا تقضي العمر وفي نفسنا ما في نفس الأب الغساني المحترم « من الاعتراضات على تلك المعاجم التي بليت أساليبها بل عفت من ديار أهل الرقي والعمران . فعسى ان تصلح لتجاري سائر الامم بتقدمها الأدبي ونهضتها العلمية »

بين العلم والإيمان

# أوليفر لدج

سيرته وأعماله على ذكر وفاته
الأساس العلمي لعقيدته الروحانية

—١—

نحن في يوم من أيام دسمبر سنة ١٩٠٤ والضباب في مدينة برمنغهام الانكليزية مايسدّ لا تكاد ترى يدك اذا مددتها . في صحن الجامعة وقف رجل مديد القامة ، وقور الطلعة ، يفحص أسلاكاً من صنف معيَّن . ثم سمعت لعلعة على مقربة من الرجل ، كانت أيذاناً بقفز شرارة كهربائية من قطب الى قطب . واذا بالضباب الكثيف قد شُقَّ كتلةً كتلةً . وليس هناك ريح تدفعهُ أمامها . واذا ببناي الجامعة تبدو في الضباب اللطيف كالأشباح تتجلى رويداً رويداً ، على لوحة فوتغرافية في حوض التحميض . تحوَّل الضباب الى غيم ، والغيم الى سحاب . واذا الجوُّ في صحن الجامعة صافٍ خالٍ من الشوائب ، يحيط به الضباب من كل جانب . ثم فُصل السلك الذي أحدث الشرر الكهربائي ، فبدأ الضباب يرتدّ الى الصحن كأنهُ جيش يعيد الكرة على معقل أخذ منهُ عنوةً . ولكنهُ يعني ان يحتلَّهُ ثانيةً

بعيد ذلك بأيام أعيدت التجربة علناً في مدينة لفربول ، فتمكن السر اوليفر لدج ، مدير جامعة برمنغهام من أن يبدد بشرر الكهربائي الضباب الكثيف من بقعة طولها نحو ستين قدماً وعرضها نحو ستين قدماً وعلوّها نحو ستين قدماً

ما هي الضباب من أشدّ عداة الانسان في السفر برّاً وبحراً وجوّاً . فالضباب اذا تكاثف في مدينة منشستر وضواحيها ، شلَّت حركة المواصلات لان القطارات والترامويات تعجز عن السير خوفاً من الاصطدام . واذا هي سارت زحفت زحفاً . والبواخر اذا اكتنفها الضباب خففت سرعة سيرها وفحصت بصفاراتها تنبيهاً للبواخر التي لا تستطيع رؤيتها مع قربها منها

وكم ذهبت طيارة وكم راح بلون ضحية الضباب الكثيف اصطداماً بجبل قريب لم يرَ ، او ببرج عالٍ او بناية شاهقة . لذلك عني العلماء بدرس هذه الظاهرة الجوية والبحث في الأسباب

الواقية لمكافحتها والتغلب عليها . والوسائل العلمية تجب في الذنب من المباحث النظرية. ففي سنة ١٨٧٠ أبان الاستاذ تندل العالم الانكليزي ان الجوّ الذي يحيط بقضيب حمي من الحديد يكون خالياً من الغبار . فظنّ اولاً ان حرارة القضيب تحرق دقائق الغبار في الهواء الملاصق له . وفيما كذلك ان تيارات الهواء الساخنة المنطلقة من جوار القضيب تطرد الغبار . ولكن لدج أثبت سنة ١٨٨٣ ان هذه المظاهر لا تفسّر بأحد التفسيرين المتقدمين . بل يمكن تفسيرها بفعل كهربي . ولاقامة الدليل العملي على صدق نظريته قام بالتجربة التي تقدم وصفها فأثبت انك اذا كهربت ضباباً رسبت الدقائق التي تكوّنت عليها قطيرات الماء الى الأرض وتبدّد الضباب

كان لدج من أيام الدراسة قد وجّه عناية خاصة الى الظواهر الجوية ، وبوجه خاص الى ما كان متصلاً منها بالكهربية . وكتب سنة ١٨٩٢ كتاباً في الموضوع جعل عنوانه « موصلات البرق وواقياته » . كان القضيب الواقي من الصواعق ، المعروف بقضيب الصاعقة قد أتمّ ولا في اميركا . استنبطهُ بنيامين فرنكلن العالم والسياسي الاميركي ، سنة ١٧٥٢ . وقضيب الصاعقة يصنع عادةً من حديد أو نحاس ، محدّد الرأس ، ويتصل بلوح معدني بالأرض الرطبة . فاذا اقتربت من البناء الذي أقيم عليه القضيب ، غيمة مشحونة كهربية استنفد القضيب الحدد كهربيتها رويداً رويداً . فاذا تعذّر ذلك وانطلق الشرر الكهربي بين غيمة مشحونة كهربية موجبة وغيمة مشحونة كهربية سالبة ، تلقى القضيب الشرر دون البناء وأوصله الى الارض فيوقى البناء كذلك ضرر الصاعقة . وذاع استعمال قضيب الصاعقة على أبراج الكنائس ومداخن المعامل وغيرها من المباني العالية ، ظناً أنهُ يقي هذه المباني وقاية تامة من الصواعق . ولكن الوقاية لم تكن تامة . لأن الصواعق انقضّت على بعض المباني رغم قضبان الصواعق التي أقيمت عليها . فانقلب رأي الناس في فائدة قضيب الصاعقة ، وعندئذٍ بدأ السر أوليفر لدج يعالج الموضوع ، ولما كان الموضوع لا يهمنا كثيراً في هذه البلاد ، فحسبنا الاشارة اليه

وقد كان من أثر مباحث لدج أن حُسّن قضيب الصاعقة حتى بني يفرض منهُ وقاه تامًّا ، وجنت إدارة البريد البريطاني من مباحثه هذه وتجاربه ، فائدة كبيرة في وقاية أعمدة التلغراف والتلفون وأسلاكهما

كانت مباحثهُ في البرق والصواعق والوقاية منها مما استرعى نظره ووجّههُ الى البحث في الأمواج اللاسلكية . ولعلّ القول بأن السر أوليفر لدج من الأركان الذين قامت على مباحثهم المبسطات اللاسلكية الحديثة ، يثير دهشة بعض القراء . ولكن هرتز شهد لهُ بذلك قال : —

بحث الاستاذ أوليفر لدج في تشريعات نظرية موصلات البرق . فقام في هذا الصدد يجارب في تفريغ مكثفات كبيرة قادتهُ الى مشاهدة اهتزازات وأمواج مترددة . وكان لدج يسلم

بآراء مكسول ويسمي لاثباتها او نفيها ، فليس ثمة ريب في أني لو لم أسبقهُ لكان في امكاني الحصول على أمواج في الهواء وفي إقامة الدليل على انتقال القوة الكهربائية .

وقد قال السر اوليفر نفسهُ في هذا الصدد ما يلي ، بعدما أشار الى نظرية مكسول الرياضية الخاصة بطبيعة الضوء الكهربية المغناطيسية وبأن أمواج الكهربية تسير بسرعة الضوء : —

هذا الاكتشاف العظيم حرّك فينا نحن ، الذين كنا في مستقبل العمر شوقاً شديداً الى البحث والتحري . وأتذكر أني تباحثت فيهِ مع من تحرمهُ كلنا الآن جيمس فانج وذلك سنة ١٨٧١و١٨٧٢ وكنا نتلقى العلم معاً . وبعد سنة او سنتين درست كتاب مكسول في هيدلبرج وعزمت من ذلك الوقت على توليد الأمواج الكهربية التي قال عنها مكسول وعلى ابتكار طريقة لتصويرها (وهذا في منزلة الارسال والالتقاط في اللاسلكي الحديث) .... وتكلمت أنا في هذا الموضوع في المجمع البريطاني سنة ١٨٧٩ و ١٨٨٠ وفي جمعية دبلن الملكية سنة ١٨٨٢ ... وكان رأي فتزجرالد ( وهو من أعلم أهل زمانه حينئذٍ ) « إن توليد الاضطرابات الموجية في الأثير بواسطة القوى الكهربية غير ممكن » . ثم أصلح فتزجرالد خطأه وحذف كلمة « غير » من عبارته المتقدمة . وبيّن سنة ١٨٨٣ كيف يمكن ان تولد هذه الأمواج . . . ولو استطعنا حينئذٍ ان نصنع آلة تلتقط الأمواج الكهربائية لوصلنا الى التلغراف اللاسلكي »

وتفصيل بحثه في هذه الناحية والرسائل التي ألقاها ونشرها في الموضوع يحتاج الى اسهاب لا يتسع له هذا الفصل . وانما لا بدَّ من الاشارة الى ان لدج هو الذي اكتشف الرابط Coherer وهو جزء كان لا بدَّ منهُ في آلة الالتقاط اللاسلكية . فقد لاحظ لدج سنة ١٨٨٩ التصاق النقائق او تجمعها بفعل الكهربية . وانهُ اذا انقطع التيار تفرقت النقائق . وكان برانلي الفرنسي قد لاحظ هذه الظاهرة وصنع آلة دعيت « رابطاً » او « مجمعاً » Coherer ولكنهُ لم يفطن الى فائدتها ، فاستعملها لدج سنة ١٨٩٤ في تبين الأمواج اللاسلكية المنطلقة في الفضاء من أثر هذه الأمواج في برادة الرابط ، بعدما جسّهُ حتى يصير أدق احساساً مما كان . وبعد ذلك بسنة نجح ماركوني في تجاربه اللاسلكية الأولى . وتعاون بيّدها مع لدج في تحسين بعض الأجهزة اللاسلكية . ولما خطب لدج مبيناً طرفاً من نصيبه في المباحث اللاسلكية الأولى قال : — ودفعاً لكل مظنة أصرح أنهُ لولا همة السنيور ماركوني ومقدرتهُ واجتهادهُ ما صار التلغراف اللاسلكي وسيلة من الوسائل التجارية ولا كانت محطاتهُ قد انتشرت في كل الكرة الأرضية ولا كان له الشأن الذي له الآن . وقال في الخطبة نفسها : — فما تمكن السنيور ماركوني من نقل حرف لا سلكيًّا من أرنبدا الى أميركا ، نصب علماً في تاريخ البشر يمنع ان يجعل مبدعاً تاريخيًّا له فيهِ من الغرابة والابداع »

— ٢ —

ولد لدج في ١٢ يونيو سنة ١٨٥١ فكان عند وفاته في التاسعة والثمانين من عمره حافل مآثر. وقد كتب أكثر من عشرة كتب عندما بلغ الستين من عمره

كان أبوه خزافاً فبعث به الى مدرسة نيوبورت فظل فيها حتى الرابعة عشرة من العمر ثم صفّ اليه في عمل الخزف وكان على وشك ان يصبح خزافاً لما وقع في يديه اتفاقاً نسخ من مجلة انكليزية تدعى « الميكانيكي القديم » ، ففتحت له باب عالم جديد . فسار في الطريق غير هياب . وظل مع أبيه سبع سنوات فلما أدرك هذا ان ابنه نابغة عمد . بعث به الى لندن ليصغي الى محاضرة الاستاذ تندل في كلية لندن الجامعة ويتلقى أصول العلم فيها على أساطينه . وكان الشاب لا يملك نفقاته فاضطر ان يعطي دروساً خاصة ليتمكن من مواصلة الدراسة . وأنت تستطيع ان تدرك مبلغ نجاحه اذا عرفت انهُ نال لقب دكتور في العلوم وتزوج بعد انقضاء خمس سنوات على انتظامه في المعهد . ولما كان في الثلاثين . أي تسع سنوات بعد تخرجه لصناعة الخزف ، عين أستاذاً للطبيعة في جامعة ليفربول . ومنح مدالية رمفرد ، مباحثه في الكهربية ، فلما عيّن مستشاراً لاحدى الشركات الكهربائية ، طبّق مباحثهُ النظرية تطبيقاً جنت منهُ الشركة فائدة كبيرة . ثم عيّن مديراً للجامعة برمنغهام الجديدة سنة ١٩٠٠ فظل في منصبه حتى سنة ١٩٢٦ وهناك قام بالتجربة التي وصفناها في مطلع هذا الفصل ، ومن منبرها اعلن صيحة لدج ، قوية معالة في نشر العلوم الحديثة ، بالدروس التي كان يلقيها والمقالات والكتب التي كان يؤلفها . وفي سنة ١٩٠٢ منحه الملك ادورد السابع رتبة فارس ولقب سر . وانتخب عضواً في الجمعية الملكية واختير بعد ذلك رئيساً لمجمع تقدم العلوم البريطاني (١٩١٣) ورئيساً للجمعية السحرية ورئيساً لجمعية المباحث النفسية ، ورئيساً لجمعية رنتجن

— ٣ —

من المعروف أن لدج فكر بجمع بين العلم والفلسفة . وقد كان الأثير الحسر الذي عبر عليه من العلم الى الفلسفة ثم حلق به في عالم الأرواح

ماذا يملأ الفضاء ؟ وماذا يربط بين الشمس في وسط السكون ، وبين الذرات وأجزاء الذرات ؟ العلم يجيبنا الآن الى أن أكثر شيء يؤلف من جزاء منفصلة بعضها عن بعض أكثر من نسبة زرقاء في بيئة صافية الأديم تزل النجوم منثورة في نواحيها . تفصل بينها رحاب شاسعة . فاذا كانت ذرة في الفضاء كان جيرانها كأنهم أحد الكواكب ، بعيداً جداً . وهو ان اجتمعت ذرات كثيرة تألفت منها جسم أو استقرت في الجو . فرحاب التي بين النجوم واسعة جداً

ولكن ما قولك في خشب هذه المائدة . وزجاج هذا المصباح . وقماش هذا الطربوش . أليس الخشب والزجاج والقماش مواد متصلة الأجزاء ؟ كلا انها ليست متصلة الأجزاء . فهي في تركيبها الأساسي مؤلفة من ذرات العناصر . وذرات العناصر مركبة من كهربات وبروتونات . والكهربات شحنات كهربية دقيقة كل الدقة والبروتونات متصلة بشحنات كهربية موجبة على ما يظن . ونسبة بُعد الكهرب عن نواته قد يقابل بنسبة بعد أحد السيارات عن الشمس . فالذرة معظمها فراغ . وفي هذا الفراغ الفسيح نثرة من الكهربائية هنا ونثرة هناك . فالانفصال آية الطبيعة في الأجسام المادية كبيرها وصغيرها على السواء

فلو لم يكن في الكون الا المادة ، لما وجد رابط يربط بين هذه الأجزاء المنتشرة . واذاً لكان الكون خواء Chaos تاماً

ولكننا نعلم أن النجوم ليست مستقلة احداها عن الأخرى . فهي تنتظم مجموعات شمسية هنا . ومجموعات ثانية هناك . وشاهد عجبة هنالك . ثمة رابط يربط بينها يدعى الجاذبية ولو لم نعلم ما هو هذا الرابط على حقيقته . واذاً فالفضاء بينها لا يمكن أن يكون فراغاً . وما يصح على النجوم ورحاب الفضاء يصح على الأجسام المادية . فالجزيئات والذرات . والكهربات والبروتونات تتجمع وتتلاصق . للجسم الجامد حجم معين وشكل معين . فاذا كان بلورة رأيتها في تنسيق مطرد جمالاً ونظاماً . ومهما تبلغ المسحات بين الجزيئات والذرات فلا بدَّ أن تكون مملوءة بشيء يربط بين دقائقها . ويجب أن يكون هذا الشيء متصلاً

قد نختلف في الاسم الذي نطلقه عليه . فندعوه آثراً بالأثير . وآثراً بالفضاء المطلق . وآثراً بالحيز الكوني الزمني المستمر Space-time Continuum كما يدعى في مذهب أصحاب النسبية ولكن لا ريب في أننا نحتاج الى شيء يتصف بهذه الصفة الأساسية التي لا نعرف من دونها سبيلاً الى فهم الكون الطبيعي فهماً متسقاً

كذلك يقول لدج

والاثير صفات أخرى أهمها انه لا يُرى ولا يُشم ولا يُلمس . وانما يستطاع تعريفه ، والانسان يستطيع أن يحس بعض تموجاته ، فهو ناقل للضوء ، لا يبقيه عن الفرور أن نصفه المادة لوظيفته الأولى اذاً أن يكون وسطاً بين دقائق المادة . ووظيفته الثانية أن يكون وسطاً لنقل موجات الطاقة على اختلافها من الأشعة الكونية الناعمة جداً متناهية من القصر ، الى الأشعة اللاسلكية التي تبلغ موجتها أحياناً عشرين كيلو متراً او تزيد

ثم ان الأثير لا يتحوَّل ، ولا يتحلَّل ، شديد الصلابة ولكن المادة تتحرك به ولا تجد أقل مقاومة من فرك أو لزوجة

فالأثير ليس مادة بالذات لكنه مادي

وهو أداة الاتصال الكبرى . وقد يكون أكثر من ذلك . لأن بدونه لا يكون للعالم المادي وجود . ومهما تكن الحال فلا شبهة في لزومه للاتصال لأنه يشغل جميع المسافات التي بين دقائق المادة ويوصل بينها . ولما كان في الامكان وجود المادة من دونه فتكون أجزاء متفرقة . هو الصلة بين العوالم والدقائق . ومع ذلك فقد ينكر الناس وجوده لأنهم لا يشعرون به بحاسة من حواسهم ، الا بالبصر اذ يتموج

اذا خرجنا من ميدان البحث العلمي البحت ، جابهنا السؤال الآتي : هل للاثير صلة بالحياة

نحن نعلم أن المادة لها شكلان شكل جامد جامد من الحياة . كالجوامد والسوائل والغازات والكهربات والبروتونات . وشكل آخر يعرف بالشكل العضوي وهي فيه جزيئات كبيرة معقدة التركيب تعرف بالبروتوبلاسمة وما يبنى منها . والبروتوبلاسمة آلة الحياة . فبعض أشكال المادة حي والحياة لغز لم ينفذ الى سره بعد . فنحن لا نعلم ما الحياة . وانما نشاهد ما تعمله الحياة . انها تؤثر في المادة ، وتتخذ أشكالاً مختلفة من المادة وتتلهف من أسلاف الى الخلف . فالحياة قد تتخذ شجرة البلوط شكلاً تظهر فيه . وحياة شجرة البلوط تنتقل الى شجرة أخرى من البلوط . أو قد تتخذ الحياة العصفور شكلاً تظهر فيه ، أو سمكة أو دودة . وأشكال الأحياء كثيرة لا تحصى

في مرحلة معينة من مراحل الحياة يبتدئ العقل في هذه المادة الحية التي تدعوها البروتوبلاسمة . واذن فالعقل والحياة قد أثرا في المادة . نحن لا نعرف ما هي وانما ندرس مظاهرها . انهما يستعملان المادة مدة ثم يختفيان . ويقول لنا حس يختفيان لا يتلاشيان قصداً . انهما يزولان من حيز مدركاتنا نحن . ولكن من يستطيع أن يقول انهما يزولان من الوجود حتماً . وكل ما نستطيع أن نقوله انهما يؤثران في المادة تأثيراً وقتياً

ولكن هل تؤثر الحياة والعقل ، في المادة فقط . دون الأثير الذي يربط بين دقائقها ؟ هل تؤثر الحياة في الأثير كما تؤثر في المادة ؟ انا لا ندري كيف تؤثر الحياة في المادة . وانما نعلم انها تؤثر . ولكننا لا نستطيع أن نثبت انها تؤثر في الأثير . وانا نحن بوجه هذا السؤال الى الباحثين . ثم هناك ناحية أخرى هي . وأكثر غموضاً في الانسان صفات العقل والشعور والذاكرة واللغة . وهي صفات لا نستطيع أن نقول بوجودها في الحيوانات العليا . ولكن السؤال أنها تتجلى في الانسان ؟ فهل تتجلى الصفات العليا التي ذكرناها فيه في العالم المادي ؟ انا نتبين هذه الصفات التي في المادة . فنقص المادة . تتغير أشكالها وتبدل من أوصافها وتتخذ فيها أحياناً معقداً من هذه الصفات تتخذ من دقائق مادة مخ الانسان . فنحن لا نتبين الا اذا ظهرت بهذا العالم المادي الذي ندركه بحواسنا العادية

ولكن لا بدَّ من سؤال آخر. هل هذه الصفات النفسية، تفعل بالمادة فعلاً مباشراً أو غير مباشر. هذه مسألة يجب ان تخضع للامتحان والتجربة. لا بدَّ في هذا الفصل من الاتصال. انا أمسك الحجر وأقذفه من مكان الى آخر. ولكن الذرات لا تتصل قط. بل بينها فراغ. فاذا اقتربت دقيقتان ماديتان، احداهما من الاخرى. تولَّت قوى الدفع الفصل بينهما. فالكهرب لا يستطيع ان يلمس الكهرب. لانهما متدافعان. فهل يستطيع الكهرب ان يلمس البروتون؟ لا نعلم. ولكن اذا لمسه، انطلقت شرارة تدل على فناء احدهما في الآخر

والواقع اننا اذا لمسنا جسماً من الاجسام انما نلمس الأثير فهو الشيء الذي يملأ جميع المسافات بين الأجسام. ولكن اذا كان نفسنا لا يتعدى الأثير أفلا نستطيع أن نحدث أثراً يحسُّ به صاحبنا أو جارنا أو محدِّثنا، لأن حواس الناس لا تستطيع ان تدرك الاثير الا اذا تموَّج. وإذاً فالحياة إذ تفعل بالمادة تفعل بالأثير أولاً فعلاً مباشراً، وبالمادة ثانياً فعلاً غير مباشر

ولذلك يذهب السر أوليفر لدج، الى أن أداة الحياة والعقل ليست المادة، بل الأثير

يقول علماء الحياة أنهُ لا بدَّ للحياة والعقل من جسم مادي يحملها، وهذا مسلَّم به. ولكن هذا الحامل قد لا يلزم ان يكون مادة في شكل من أشكالها المعروفة. بل قد يكون أبسط من المواد المعروفة. فقد يكون شيئاً، وتكون المادة صورة محسوسة من صوره. والاثير عند السر أوليفر لدج جسم متجانس فاذا تنوَّع كانت المادة

فالحياة والعقل قد يكونان متصلين بالأثير اتصالاً لا ندركه بحواسنا، وإذاً فلا يحق للعلم ان ينفيه نفياً مطلقاً. فالنفي ليس من شؤون العلم. وإنما شأنهُ الاثبات. والنفي القاطع أصعب من الاثبات، لأنهُ يقتضي علماً واسعاً محيطاً بكل شيء شاملاً لكل شيء. ونحن نعلم أن فرعاً من العلم قد ينفي شيئاً ويثبتهُ بفرع آخر. فالفرع الأول لا يستطيع أن ينفي وجود هذا الشيء نفياً قاطعاً. والكيميائيون ينفون الأثير، وعلماء الطبيعة يقولون الأحياء، وعلماء الحياة ينفونهُ في تعليم العقل والقصد، وعلماء الجهر لا يلتفتون الى الكواكب، فهل يصح ان نفكر هذه الاشياء لأن علماً من العلوم لا يلتفت اليها؟ وما أحسن ما قيل من أن الشك في كل شيء، تصديق كل شيء. حتى يلجأ اليه الذين لا يريدون أن يشموا عدوهم

فاذا قام العلماء على وجوده، فاخرجوهُ من نطاق بحثهم بصيغة هذا البحث، وجب ان لا نقبل قولهم. ان قواهم محدودة وحواسنا لم تألف الا المادة التي نشعر بها. ولا شيء غيرها يستطيع ادراكه. ان عضلاتنا وأعصابنا صاغة لتحريك المادة في الجهة التي نختارها. هذا هو جهدنا الخاص. لأن هذه وما تاريخ الانسان الا اخبار ما عمله بهذه القوى اليسيرة التي اعطيها

بالمادة يعرف كل منا بوجود الآخر وبما نتخاطب مع الذين افكارهم تشبه افكارنا ، إما بحركات توجية كما بالكلام والغناء او بتوزيع دقائق المادة كما في الكتابة والتصوير . فتتخاطب كذلك وتتفاهم . وقد ألفنا هذه الوسائل حتى صرنا نحسبها هي وأمثالها الوسائل الطبيعية الوحيدة للتخاطب والتفاهم وأن كل وسيلة غيرها يصل بها المراد من عقل الى عقل مباشرة تنهاك لحرمة العلم

من هنا نرى الأساس الذي يقوم عليه اعتقاد كثيرين في بقاء الشخصية ومخاطبة الأرواح فهو يقول ان الحياة والعقل يحتاجان الى أداة . يظهران بها ، او يتجليان فيها ، ولكن هذه الأداة لا يجب ان تكون مادة ، بل قد تكون الأثير نفسه ، وإذاً فبقاؤها بعد انحلال الجسم المادي محتمل ، وإن كنا لا نستطيع إدراكه بحواسنا ، ولكن بعضاً منا ممن أرهفت حواسهم يستطيعون ان يتبينوا أثر الشخصية في الأثير . فيتلقون من الأشخاص الذاهبين الذين خرجوا من دائرة الوجود المادي الرسائل والانباء

كل هذا فرض جميل . وكل انسان اذا تخطى عهد الشباب والفتوة يتوق اذا كان ممن يفكر في خفايا الحياة والكون الى أن يعرف ما وراء الموت . ويتوق كذلك الى الايمان ببقاء الشخصية وفي هذا الفرض من الناحية الفلسفية ما يكفي

ولكن موضوع مخاطبة الأرواح الذي عالجه السر اوليفر ليج معالجة عملية ليس لهُ بالفرض الفلسفي الا صلة ضعيفة وهو مثار لاختلاف الرأي بين أهل الرأي

والموقف المعقول يقضي علينا بالتزام الحذر في الحكم . فكثير من الحقائق العلمية أنكرت في أول عهدها ثم ثبتت صحتها . وثمة طائفة أخرى من الحقائق العلمية ، لم نستطع كشفها الا بعد كشف وسيلة علمية جديدة كالمجهر أو المرقب أو المطياف أو الأشعة السينية . ومن يدري ما يأتي به العلم في غير من الوسائل الجديدة . فالأشعة الكونية مثلاً أقوى نفوذاً من أشعة اكس وأشد فعلاً وقد نسخر غداً أو بعد غد فنكتشف لنا عن عوالم كانت خافية علينا لانا لم نملك الوسائل اللازمة لتبينها ثم إن أساليب البحث العلمي ليست كل الأساليب التي يمكن الوصول بها الى الحقائق . فاذا شئت أن تكتفي بما تتيحه الوسائل العلمية المعروفة ، والامتحانات والتجارب التي قام بها رجال مشهود عن لهوى استطعت أن تقول ان مخاطبة الأرواح لم تثبت بعد . ولكن ليس في العلم ما ينفيها . لأن العلم لا يستطيع ان ينفي اذا لم يحط بكل شيء واستقرأهُ استقراء شاملاً

واذا شئت ان تنظر نظراً فلسفياً فلك أن تتفق مع السر اوليفر ليج في رأيه وفي الخداع والانخداع الذي يحالطان أغلب الوسطاء يقتضي اتساق النظرة العلمية الفلسفية التي بسطناها ، بقاء الشخصية بعد انحلال الجسم المادي ودوام تأثيرها في الأثير الذي يملأ رحاب الكون

# تاريخ التقويم المصري

## والاحتفال بعيد النيروز أو النوروز
## او رأس السنة المصرية

لنقولا صالح حداد

احتفل قبط مصر برأس السنة المصرية الزراعية الجديدة فودعوا فيه عاماً ماضياً حافلاً بجلائل الأمور واستقبلوا عاماً جديداً يرجون فيه أن يكون عام خير على الأمة المصرية جمعاء وهو عام ١٦٥٧ للشهداء الأبرار

وقد طلب مني كثير من اخواني أن أكتب كلمة في تاريخ وضع التقويم المصري الزراعي وفي كيفية الاحتفال بيوم النيروز أو رأس السنة المصرية القديمة فلبيت الدعوة ووضعت المقال الآتي مستعيناً فيه بما كتبه رجال العلم والتاريخ وأخص بالذكر منهم العلامة الفاضل جرجس فيلوثاوس عوض وقد قسمت الموضوع الى قسمين

### القسم الاول

### تاريخ التقويم المصري

١ — ﴿ وضع التقويم ﴾ شعر أجدادنا المصريون في غابر الأزمان بالحاجة الى تقسيم الزمن لترتيب الأعمال حتى تكون الأشياء مرهونة بأوقاتها فالزارع يحتاج الى معرفة الوقت الذي يجب فيه أن يجهز أرضه لزراعة . ان يختار الجو الذي يلائم زراعته والزمن الذي تتوفر فيه المياه أو تقل حتى يكون على بينة من حاجاته . وكذلك التاجر والصانع يحتاج الى معرفة الوقت الذي يناسب فيه توزيع بضائعه ومصنوعاته على المحتاجين اليها والوقت الذي يتمكن فيه من تحصيل ثمنها. وكذلك الحاكم يحتاج الى معرفة الزمن الذي يتوفر فيه المال لدى رعيته فيسهل عليه جباية العشور بدون اكراههم على دفعها ملاكها ومقتنياتها . والأحرى بأولئك المصور الخالية شدة الحاجة الى هذا التقسيم لتكون أعمالهم مرتبة ترتيباً يحقق تقدم البلاد وتنظم سير الأعمال ونجاحها . وفي بادىء الأمر رأوا أن الشمس روح الزراعة والنبض حياتها فبدأوا بجعل اليوم (ليلة ونهار) وحدة لقياس الزمن ومنها تكون في حساب الأيام الأسبوع ثم لاحظوا أن القمر يقطع دورته في نحو ٣٠ يوماً فاتخذوها شهراً . وحيث أن الوقت الذي يجمع بين فيضانين يبلغ ٣٦٥ يوماً

نحو اثني عشر هلالاً جعلوا قوام السنة الزراعية اثني عشر شهراً او ٣٥٤ يوماً

واستعملوا هذا التقويم في بادىء الأمر الى أن لاحظ توت في العصر السابق للتاريخ ان الأسبوع غير كافٍ وان الاثني عشر شهراً هلالياً وان تكن جامعة تقريباً بين فيضانين الا انها تنقص أحد عشر يوماً فلم يسعهُ سوى البحث عن ضابط تابت بضمن ان تكون توقعاتهم الزراعية لا تختلف في سنة عن الأخرى وقد توصل في أبحاثه الى الاهتداء الى ان نجم الشعرى اليمانية أسطع الكواكب الثابتة يظهر مقارناً للشمس وقت شروقها وغروبها في ابتداء زمن الفيضان النيلي الذي عليهِ تتوقف حياة البلاد وثروتها فلم يرَ بدأً من جعل ذلك الزمن بدء سنتهم وتأليف السنة من اثني عشر شهراً في كل منها ثلاثون يوماً يضاف اليها خمسة أيام تعرف بأيام النسيء فصارت السنة ٣٦٥ يوماً

وقد احتفظ المصريون لتوت بهذا الجميل فأطلقوا اسمهُ على الشهر الأول من السنة كما أنهم دعوا نجم الشعرى اليمانية بنجم الالهة إيزيس

٢ — ( التعديلات التي أدخلت على التقويم ) واستمرت مصر على استعمال هذا الحساب ولكن رئي أن حساب السنة المتقدم ينقص ربع يوم فاتفق فلكيو مصر على جمع تلك الأرباع في مدى ١٤٦٠ سنة ليتكوَّن من المجموع سنة كاملة وقرروا اسقاطها من حساب التاريخ وكانوا يحتفلون عند تكامل هذه السنة باقامة الأفراح والمسرات ليلاً ونهاراً تعبيراً عن سرور جميع أنحاء البلاد

واستمل التقويم على هذا الأساس الى السنة الخامسة من حكم أغسطس قيصر أي في السنة الخامسة والعشرين قبل الميلاد فبدلوا حساب السنة القديم بالسنة المرعية أي المؤلفة من ٣٦٥ يوماً وربع يوم التي رتبها الفلكي المصري سوسيجنوس المعروف عند الأفرنج باسم سوزيجين ( Susigene ) الاسكندري واستمروا في استعمال هذا التقويم نعدُّل الى يومنا هذا ومع أن علماء الفلك المصريين لاحظوا وجود فرق يسير في هذا الحساب المعدل أيضاً الا أنهم لم يتمكنوا من اصلاحه بسبب الحوادث التي حلت بالبلاد وأفقدتها استقلالها حينما احتلها الأجانب الذين اضطهدوا أهلها وعلماءها

ومما تقدم يتضح ان المصريين الأقدمين هم أصحاب الفضل الأول والسبق على سائر شعوب العالم وأممه في تقسيم الزمن وضبط حسابه بدقة متناهية كما شهد لهم بذلك أقدم مؤرخي وهو أبو التاريخ هيرودوتس الاغريقي

وإذا تأملنا تقسيم السنة وجدنا أنهم راعوا فيها مصلحتهم الزراعية فجعلوها ثلاثة فصول كل فصل يحتوي على أربعة أشهر أولها الفصل الزراعي ويبتدئ من توت وبابه وهاتور وكيهك وثانيها فصل الحصاد ويتألف من طوبه وأمشير وبرمهات وبرمودة وثالثها فصل الفيضان

ويتألف من بشنس وبؤونه وأبيب ومسرى وأيام النسيء. ولذلك عرفت حتى وقتنا هذا بالسنة الزراعية وعليها يعتمد الفلاح في فلاحة أرضه وحساب سنته الزراعية وعقود إيجاراته

## القسم الثاني

### تاريخ الاحتفال برأس السنة

١ — ﴿ الاحتفال برأس السنة في العصور الوثنية والمسيحية ﴾ كان المصريون القدماء في العصور الأولى يحتفلون برأس السنة احتفالاً وطنياً تماً يشترك فيه الأمير والحقير والغني والفقير وعلى رأسهم ملك البلاد فيودعون فيه عامهم المنصرم ويستقبلون عامهم الجديد ويأملون فيه الهنا والاطمئنان وينعمون فيه بالليل فيضاء عالي يروي البلاد ويحي غلتها ويكثرها

وقد ألبس الكهنة عيد رأس السنة المصرية حلة دينية فنادوا بأنه ثوت مبدع التقويم المصري القديم وبأنه النيل مصدر حياة الأراضي المصرية التي تنمو زراعتها بفيضانه وتكتسب تربتها الخصب بطميه ولا غرابة في ذلك لأن مصر هي هبة النيل

وكان الملك يرأس الاحتفال في عاصمة القطر وكان الحكام يرأسونه في الأقاليم وكانوا يبيحون فيه للرعية الحرية التامة ويتبادلون معهم عبارات بلا فارق بين حاكم ومحكوم وكان في حالة اعتدار الملك أو حاكم الأقليم ينوبي رئاسة الاحتفال نائب عنه رؤساء الأحبار

وكان يتألف الاحتفال من موكب يرأسه الملك ويقف حوله ثلاثة عشر كاهناً يحملون أعلاماً عليها رموز الآلهة ورسومها المختلفة ويسير موكبهم داخل الهيكل في المعابد وكان يشترك في الاحتفال الرجال والنساء والأطفال معاً حيث كان يسمح باختلاط الجنسين اللطيف والنشيط معاً لأن الرقي الاجتماعي بلغ في تلك العصور القديمة أعلى الدرجات

وبالأحيان كانت احتفالات رأس السنة في عصور الفترة الجامعة بين البهاء والعظمة والسرور والغبطة فكان المصريون يستقبلون رأس ثوت غبطة عيد الجديد بكل شيء وانشراح متوسمين فيه كل خير لزرعهم التي تتوقف حياتها على الفيضان النيلي حتى كان كهنتهم يقدمون خواطر سنوياً في هيكل أنس الوجود بجزيرة فيلة جنوب جزيرة أسوان قرباناً للنيل في هذا العيد والغبطة يحتفلون بيوم رأس السنة الجديدة الذي يعتبرونه عيداً وطنياً عاماً

وستمر كذلك الاحتفالات بعيد رأس السنة في عهد الدولة الرومانية وكانوا قد زادوا في عهدهم عظمة وبهاء فأقاموا بمعبد دندرة وخصصوا فيه هيكلاً عظيماً حافلاً بالنقوش عليه رمزاً لشهور السنة يحتفلون فيه برأس السنة احتفاء بظهور كوكب الشعرى اليمانية وجعلوا له غرة

خاصًّا في وسط الهيكل الكبير وخلدوا الاحتفالات بتصويرها نقشاً في السقوف والحوائط

أما في العصر المسيحي فكانت الصلوات والابتهالات تقام بالكنائس والديارات كما كان يقوم رهبان دير ابي مقار ببرية شيهات بوادي النطرون باحتفال ديني يقدسون فيه الماء موضوعاً في قدر كبيرة يطرحونها في النيل كما كان يفعل كهنة العصر الوثني من القاء بعض الجواهر في النيل ليفيض ماؤه بغزارة لارواء البلاد

٢ — ﴿تهمة باطلة﴾ وقد نسب مؤرخو العرب بعد الفتح العربي بزمن كبير الى المصريين امر تقديم احدى بناتهم سنويًّا قرباناً للنيل كما نسب بعضهم اليهم ذبح امرأة جميلة يوم الاحتفال وهذه رواية لا حقيقة لها لان ديانة المصريين القدماء ليس فيها ذبائح بشرية كما ان الديانة المسيحية وهي التي كانت ديانة البلاد وقت الفتح العربي تحرم القرابين الآدمية ولو كان لهذه التهمة ظل من الحقيقة لرواها هيرودوتس أبو التاريخ الذي زار مصر وشاهد فيضان النيل واشترك في حفلات النيروز ولم يترك شيئاً من مشاهداته في مصر الا دونه في تاريخه حتى أتفه الأمور وكذلك لم يرّ شيئاً عن ذلك في تاريخ ديودوروس الصقلي وسترابون وغيرهم من علماء التاريخ الذين زاروا مصر واختلطوا بأهلها ودرسوا عاداتهم وديانتهم واشتركوا في حفلاتهم فضلاً عن أن المرأة المصرية كانت لها في الهيئة الاجتماعية منزلة ممتازة تغبط عليها وكانت موضع الاحترام والتبجيل وكانت القوانين المصرية تحميها وتحترم حقوقها وتحرم بيعها فلذلك لا يشك احد في ان المصريين أبرياء من هذه التهمة التي نسبت اليهم . وقد ذهب بعض العلماء الى ان خطأ مؤرخي العرب نجم من عدم فهمهم لكلمة عروس وهي اسم لاحد الآلهة من حماة النيل وذهب البعض الآخر الى انهم لم يدركوا كنه القرابين التي كان يقدمها كهنة هيكل أنس الوجود ولا يدري المقصود من قدر المياه المباركة التي كان يقدسها رهبان أبي مقار ويلقونها في النيل يوم النيروز ليبارك الله في مائه . وأما مصدر رواية القرابين البشرية فهو أن بعض القبائل الحبشية في السودان كانوا يلقون في حفلات الزفاف بصدراء في النهر ورآها العرب عند غزوهم هذه البلاد

٣ — ﴿الاحتفال برأس السنة عند الفتح العربي﴾ لما فتح العرب مصر وتملكوا هم حكم البلاد لم يبدل القبط شيئاً من احتفالاتهم الوطنية والدينية بل حافظوا عليها محافظة شديدة واستمروا على إحياء عيد رأس السنة والاحتفال به سنويًّا حتى ان اختلافهم في بعض هذه الاستمساك بأعيادهم القومية لم يسعهم سوى الاشتراك معهم في هذه الأعياد . وكان اختلاف الفاطميون يتخذون هذه الأعياد والمواسم أعياداً رسمية يرأسون احتفالاتها ويشهدها المصريون والطبات ويوزعون الكساوى الفاخرة والحلي الثمينة والفاكهة والحلوى وقد رأى المقريزي في خططه ما يؤيد ذلك إذ قال « وكان النوروز القبطي في أيامهم [illegible] يوم احتفالهم [illegible] ويسمى

تتعطل فيه الأسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الحكومة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من اللبان وحوايج النيروز »

وكان من عادات المصريين في هذه الأعياد اشعال النيران والتراش بالماء وكان أمير المؤمنين المعز لدين الله منع في سنتي ٦٩١ و ٦٩٢ للشهداء إيقاد النيران ليلة النيروز وكذلك صب الماء يوم النيروز على ما رواه ابن زولاق وقد وصف القاضي الفاضل والقلقشندي وابن المأمون وابن اياس وعلي باشا مبارك عظمة الاحتفال بالنيروز في عهد الخلفاء الفاطميين وما كان يعم فيه من الهدايا والعطايا والفاكهة والحلوى ملخصاً فيما يلي : —

كان يجتمع في ذلك اليوم السواد الأعظم من عامة الناس ويقيمون عليهم أميراً يسمى أمير النيروز فيسيرون في الصرقات تحت إمرته ، ويقفون على أبواب الأكابر من أعيان الدولة فيقرر هذا الأمير على كل عظيم او أمير مبالغ يحصلونها منه وكل من امتنع عن الدفع «يهدلونه» بمعنى يكبكبونه ويسوءونه سبًّا قبيحاً ولا يبرحون بابه حتى يأخذوا منه ما تقرر عليه غصباً واقتداراً وكانوا يغنون في الصرقات ويتصافعون بالانطاع والأخفاف ويقضون على الناس الطريق ويمنع الخروج في هذا اليوم الى الاسواق وتغلق فيه أسواق القاهرة ودكاكينها وكل من ظفروا به في الصرقات «يهدلونه» بغض النظر عن علو مكانته وسمو مركزه فيرشونه بالماء القدر ويبرجمونه بالبيض وكان الناس يتجاهرون بشرب الخمر وكثرة الفسق وكانت تقدم الكباري الكثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحريريات ومعاجر لباس نسائي وعصايب نسائية مونات وشقق لازمذهب وحرير ومسفع رقوط ديبقية وتوزع على الجميع بلا فارق بين القبط والمسلمين من رجال القصور ودور الوزارات والشيوخ والأصحاب والخواشي والمستخدمين ورؤساء المراكب ولم يكن لأحد من الأمراء في ذلك سبب

وكان يحمل لأكابر مصر من القبط والمباشرين من أصناف الفاكهة الرمان والعراجين الموز وشمام السفرجل والتفاح الشامي وقفف البسر والقثاء العنب والنمر الفوصي والبطيخ الصيفي والرطب والخوخ المشمر والدرر الهريسة المعمولة مرحوم للحاج ومعه بقسط الحلاب وصحون الحلاوى القاهرية وغير ذلك من الأنواع اللطيفة وكانت هذه الأصناف تفرق أيضاً على الأمراء ورجال القصور ووزرائه والمستخدمين والحجاب وأرباب الحرف وكان يرصد لذلك من أموال الدولة زيادة آلاف دينار ذهب وخمسة عشر ألف قفصه

واستمر الحال على ذلك الى أيام حكم الملك الصالح نجم الدين أيوب فانه في آخر الجيل الرابع عشر للهجرة قاسى مصر المجاعات في يوم سنة ١١٠٠ للهجرة ومنع من لعب النيروز وهدد من فعله بالعقوبة فكف الناس عن اللعب في القاهرة وصاروا يقصدون الخلجان والترع ومواضع النزه

في يوم رأس السنة واقتصروا فيه على رش الأمواه والصافع كما سمح بإيقاد النيران في المنازل الخاصة دون الطرقات

ويتضح جليًّا مما تقدم ان القبط والمسلمين كانوا يحتفلون بموسم النيروز حتى رتبت لهم خزينة الدولة كساوى وهدايا مخصوصة وان السفلة والرعاع من المحتفلين به كانوا يتظاهرون بأمور شنيعة كما يحدث الى الآن في الموالد والمواسم والاعياد وان عمل هؤلاء السفلة دعا أولياء الأمور في نهاية الجيل الرابع عشر الى ابطال الاحتفال به رسميًّا ومنع اشتراك الحكومة باحيائه واكتفى باحتفال جبر الخليج

ورغم المنع الذي حدث في آخر الجيل الرابع عشر لم يغير اهل البلاد من قبط ومسلمين عادتهم التي ورثوها عن أسلافهم فكانوا يحتفلون بالنيروز فيأخذون اولادهم ومواشيهم الى النهر والترع للاستحمام وينقلون من مائها الى دورهم للتبرك واكتفى القبط بأقامة الصلوات والابتهالات في الكنائس والزاور بينهم في المنازل وتبادل هدايا الملح والرمان

وكان معلمو كتاتيب القبط وقد كانت المدارس الوحيدة في البلاد يوزعون على التلاميذ اوراقاً رسمت عليها الصلبان المزخرفة وصور القديسين والملائكة داخل اطارات من الأشكال البركارية ملونة بألوان زاهية وكان يطلق على هذه الأوراق اسم النيروز فيقوم آباء التلاميذ بمكافأة هؤلاء المعلمين كل بقدر استطاعته

وكان اطفال كل حي يطوفون بدور الاكابر والاعيان في حيهم وينشدون أناشيد الفرح بالعيد ويرفعون النيل قائلين (البحر زاد عوف الله وغرق البلاد عوف الله الخ) ثم يدعون لأصحاب الدور بالخير فيمنحونهم بنقود أو حلوى أو كساوي ولا تزال آثار ذلك باقية الآن في القاهرة في الاحياء الوطنية . واستمر الحال كذلك الى ان تولت الجمعيات القبطية في آخر الجيل التاسع عشر احياء الاحتفال بهذا العيد وعلى رأسها جمعية التوفيق القبطية المركزية بالقاهرة التي استمرت منذ تأسيسها الى الآن تقيم حفلة النيروز وكان الفضل في تجديد الاهتمام بالعيد للمرحوم تادرس بك شنوده المنقبادي واخوانه بأسيوط

وحبذا لو ان حكومتنا السنية جعلت عيد جبر الخليج في يوم النيروز حفظاً لذكرى هذا العيد القومي واحتفاء بالسنة الزراعية الجديدة وفيضان النيل في وقت واحد

واختم كلمتي بتكرار التهاني لحضرات القراء الكرام بهذا العيد السعيد أعاده الله على عالم مصريين بحلال السعادة والهناء وأسأل الله تعالى ان يكون هذا العام عاماً سعيداً مباركاً يعمون الطائع يرفرف فيه السلام على العالم ويزيل عنه كابوس الحرب وكربه ويحل السلام والوئام محل العراك والخصام انه سميع مجيب

# سلام ...

لقد انقضى النهار وأخذ الظلام يهوي من أجنحة الليل
كأنه ريشة سقطت من جناح عقاب في أثناء الطيران
أرى أنوار القرية تتلألأ من خلال المطر وانصباب
يستولي عليَّ شعور أسى لا يستطيع نفسي أن تصدّه
شعور أسى وتوق لا يمتّ الى الأمل بصلة
ولكنه لا يشبه الحزن الأكما يشبه انصباب المطر

اقرئي لي قصيدة ، أو أغنية ساذجة صادرة من صميم القلب
تسكّن اضطرابي وتبدّد هموم النهار
لا تقرئي من شعر الفطاحل ، ولا من المنشدين المفوهين
الذي يسمع صدى خطواتهم العالية في أروقة الزمان .
لأن أفكارهم الزاخرة القوية مثل إيقاع موسيقى الحربية
تبعث في الحياة حب الصراع والجهاد ، وأنا قليلة أتوق الى الراحة

اقرئي لي من شاعر متواضع ، تحجرت أغنيته من قلبه
كما تتحجر الشآبيب من غيم الصيف او الدموع من الجفون
من شاعر ظل في أيام الصعل والكفاح وليالي الاضطراب
يسمع في قرارة نفسه موسيقى الأحان الصحيحة
أغاني يفرّ الى هدوئها بعض الضياء الذي لا يستقرّ
فتحيي ، كالطائفة التي تتبع السلاة

ثم اقرئي لي من أي كتاب تقرئين ، الشعر الذي تختارين
سيبقى لك روعة قوافي الشاعر روعة صوتك الرخيم
الذي يصبح قليلاً فأكثر ، موسيقى ، فتصوي مذاهب النهار
خيالي ، كما تفعل الحرب ، تتسلل في سكينة الظلام

[ من الشاعر الاميركي توماس ]

اغتيال زعيم عربي

# الدكتور

## عبد الرحمن شهبندر

### صفاته الفكرية والخلقية وحفلة تأبينه

عند ما شرع المقتطف في نشر فصول « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي » للدكتور عبد الرحمن شهبندر — رحمة الله عليه — في سنة ١٩٣٢ كانت شهرته في السياسة والخطابة والجهاد الوطني قد طبقت بلدان العرب واستفاضت الى ديار الغرب ، وغلبت على شهرته في الطب مع أن السياسة لم تحل دون تنميةٍ كل جديد في فنه الأصيل [1] . ولكننا لم نكن نعلم أنهُ حذق المباحث الاجتماعية وتعمق فيها لا حذق مطالعة وتعمق دراسة في الكتب فحسب بل حذق تأمل وتجربة كذلك . ولذلك كان كل فصل من تلك الفصول [2] الرائعة يجلو لنا ناحية جديدة من الدكتور شهبندر وشخصيته الجامعة . وكان في معظم الأحيان يشرّف ادارة المقتطف والقلم بيده فيجلس لا يشرب قهوة ولا يدخن لفافة يبسط الفكرة التي ينطوي عليها مقالهُ مبيناً ما رأي علماء السياسة والاجتماع فيها ثم يوجز وجهة نظره الخاصة في تصيبهُ على الشرق تطبيقاً هذه الاصلاح العملي الموفّق . وكان يأبى الاّ أن يصحح التجربة الأخيرة بنفسه فاذا كان التصحيح في مكتب المقتطف وهو الغالب فكل زيارة كانت تفسح مجالاً قبل التصحيح أو بعده للبحث في رأي طريف أو كشف جديد في العلم أو رغبة في الاصلاح ، ولم يكن الفقيد في الحديث السياسي يحصر المعنى الاّ في الأقل الأندر ، مع أن الحرية والصحة العامة والاقتصاد القومي وغيرها من موضوعات السياسة في أعم معانيها كانت دائماً في موضع الصدر من حديثه وعنايته

وكذلك تمت لنا من مطالعة فصوله في « القضايا الاجتماعية » وسائر فصوله في المقتطف مثل « روح الشعر » و « مقياس الشعر في ارتقاء الأمم » و « الصلة بين الحاضر والماضي » و « فصل من حياتي » أنهُ سياسي عظيم على اعتبار ان السياسي العظيم يجب أن يكون مدركاً ادراكاً شاملاً نسيج

---

[1] قد سبق للدكتور عبد الرحمن شهبندر أن كان مدير تحرير المقتطف غير مرة وعاد الى مكتبه في فترات متقطعة

[2] وقد جمعت في كتاب طبع حديثاً بعنوان « القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي »

الحياة المتصل فهماً فهماً دقيقاً للتيارات الفكرية والاجتماعية التي لا يستطيع شعب أن يفلت من تأثيرها ولا أن يقطع صلته بها. قادراً على التفكير تفكيراً ساسه المنطق والتجريد ولكن بغير أن يضحي بإيمان الناس وعواطفهم وحقائق حياتهم على مذبحة المنطق ومذبح التجريد، زكناً يمزج المزاج الأدبي في الشأن الخاص الغابر، والعلمي العام في القضية الخاصة، أي يجب أن يكون طبيباً اجتماعياً وزعيماً روحياً بقدر ما يكون محامياً قوي الحجة وخطيباً مفوهاً وداهية في مناورات الأحزاب والهيئات

ذلك أن ما يفعله السياسي بأسمى ما في حروف السياسة من معنى، هو شق المجاري العامة التي تتصرف فيها الحياة الزاخرة المضطربة بين الجوانح، المتقدة في خلايا الأدمغة، المتحفزة للعمل. وهو لا يستطيع ذلك الا اذا كان فهماً بين مهمته، متغلغلاً في قلوب الناس لامساً خواطرها، معبراً عنها في أقواله وأعماله مصوراً لهم المثل العليا تصويراً يحفزهم للعمل، شاعراً بالقوة التي رهن يديه وبالبدعة في استعمالها التي يجب ان يكون خادم المصلحة العليا لا متحكماً فيها وفقاً لغرض او هوى، ناظراً الى المستقبل بغير أن تغيب عنه حقائق الحاضر، منقذاً للضمير القومي لا خاضعاً لرغبة الرجل او الحزب

ليس من السهل كتابة سيرة الدكتور شهبندر السياسية الآن. ولا تملك الوثائق الكافية للحكم على آرائه السياسية في موضوعات خاصة اوعيها، ولكن متى أتاح الزمن الفرصة لنشر الوثائق الخاصة بنهضة العرب في القرن العشرين، ودرس نواحي شخصية الشهبندر المتعددة، فلا ريب في أن التاريخ سيعين له مقاماً في طليعة مشيديها. فاغتياله وهو في عنفوان قوته كمفكر وزعيم وطبيب، جريمة نكراء وفقده خسارة كبيرة

وقد احتفل بدمشق احتفالاً قومياً عربياً رائعاً بذكراه الاربعينية تليت فيه رسائل ومقالات وقصائد من زعماء مصر والشام ولبنان والجزيرة العربية والعراق وأدبائها وشعرائها وقادة الرأي فيها تنشرها في ما يلي كلمة الاستاذ عباس محمود العقاد والاستاذ منصور جرداق استاذ الرياضة بالجامعة البروتستانتية الاميركية وهي المعهد الذي نال فيه الفقيد علومه العالية

---

(١) وهي ما تصوّر حالة النفس، وترسل على سالكها أدق مشاعره إلى أعماق القلوب غير... يقنع عقلاً ويرغب سمعاً ويسعر عاطفة، يشير فيعلو ويهدي فيصاب ويثير الطريق... وأنها روحي اجتماعية تمحص العناصر وتمزج بعضها ببعض ولولاها ما كان النطق و... سحر وأي فن. فهي هي أساس الملكة الاجتماعي التي هي عنيه الوحدة الوطنية وهي هي أداة التنظيم العقلي الذي تكسب الأمة إرادة عامة ؟ (القضايا الاجتماعية الكبرى صفحة ١١١)

١ — الشرق ومعرفة اقدار الرجال — للاستاذ النائب المحترم عباس محمود العقاد

حضرات السادة الأجلاء : كتب فقيد الأمة العربية الدكتور شهندر فصولاً شائقة عن نورنس[1] الضابط الانكليزي المشهور فلامهُ في بعض الفصول لوماً شديداً — لأنهُ سلب «السلطان صلاح الدين الأيوبي الهدية الوحيدة التي تذكرتهُ بها أوربا لأعماله الخالدة بعد ما نسيتها ثمانية قرون كاملة . وهذه الهدية هي إكليل من الذهب قدمهُ الامبراطور غليوم يوم زيارته دمشق من نحو الجيل وقد حفر عليهِ بخط عربي مبين . إن الله يحب المحسنين . وفي سرقة الأموات عارٌ ليس في سرقة الأحياء »

فهل خطر في بال الفقيد وهو يكتب هذا الكلام أنهُ سيرقد رقدتهُ الأخيرة في ذلك الضريح الذي غضب لهُ ذلك الغضب وغار عليهِ تلك الغيرة ؛ وأنهُ سيحوطهُ برفاته وذكرى حياته كما يحوط الحارس الأمين صاحب التاج في عالم الفناء

لو كان الأمر مما يفسر بالنظر البعيد لجاز ان يقال أنهُ بعد نظر من الحكيم العليم ؛ لأن هذه الصفة النادرة كانت من أوضح صفات شهندر رحمهُ الله . فلا يصغى اليهِ جليسه لحظات معدودات حتى يتبين من كلامه وسياق عبارته — دلائل الأناة والتبصر ووزن الوقائع وسبر الأغوار . وربما عزَّ على بعض الناس ان يوفقوا بين هذه الصفة الواضحة فيه وبين اقدامه وطموحه الذي يشبه لهم صفة الهجوم وقلة المبالاة ؛ أو صفة الخيال والجموح مع الأحلام . ولا داعي للاشتباه في الحقيقة لان معرفة الواقع لا تقتضي الرضى بهِ والاستكانة اليهِ بل قد يعرفهُ المرء ليعرض عنهُ ويتخطاه ويحاول تبديله ، فيلوح لمن يراه كأنهُ ينسى الواقع ويتعلق بالأوهام وهو في صميم الأمر عالم بالواقع لا يجهله ولا ينساهُ ولكنهُ يجتزىء عليهِ لأنهُ قد أوتي من النشاط الحيوي ما يدفعهُ الى الحركة ويناًى بهِ عن السكينة والاستقرار . وكذلك كان الدكتور شهندر رحمهُ الله ممن يتمردون على الواقع عالماً بهِ لا غافلاً عنهُ وهو مع ذلك مطبوع على التبصر والأناة وسبر الاغوار

وقد اجتمعت له أسباب ذلك من فطرته ومن تربيته ومن تجارب حياته

فهو بفطرته رجل أعمال لا يأخذ من الأشياء والحوادث إلا بمقدار ما يزجهُ عملاً قابلاً للانفاذ والاختبار ولا يمنع هذا أن يكون انجازه مقروناً بمشقة والاقدام

وهو بتربيته قد نشأ على المعرفة الادبية والمعرفة النفسية فلا هو محصورٌ في معمل التحليل ولا هو مشغولٌ بالألفاظ ولكنهُ رجل يعيش في حومة الدنيا بدقة الذاهن وأريحية الأديب ،

(١) مقتطف يوليو ١٩٣١ صفحة ٣٧

وبهذي مستشارين أحدهما صاحب صراحة النمر وتبع حرب جرالة الأدب ويندر أن يغلب هذه أحد المستشارين على أخيه

أما مجاربه فمن ذا الذي يصاحب الغصبة العربية ربع قرن ولا يخرج منها حامل الوطاب بمجاريب الجماعات والأفراد، ومن ذا الذي يلقى الموت مرات ولا يعلم ما هي الحياة، ومن ذا الذي يلابس الناس في أيام القلاقل والنواهض القومية ولا يعرف مدى الأمل والقنوط، وغاية الهدة والصموح وغاية الاسفاف والركود، ومن ذا الذي يكون عربيًّا حقًّا في الجبل الاخضر ولا يكون انسانًا حقًّا بصيرًا بما في العالم الانساني من أخلاق ونزعات وحركات وأطوار؟

ولست أدعي حق الحكم على سياسة الفقيد الكبير في شؤون العربية فلست على علم وثيق بتفصيلاتها في مختلف الأدوار ولكني أرى في ما قرأته له أو سمعته منه في شؤون السياسة والاجتماع مثلاً في السداد وحسن التقدير

فمن أصدق الموازين للحبة الوطنية قوله ان الاستقراء قد دلني لا في الشرق والغرب على ان معيار حب الاستقلال في الأمة انما يكون على قدر حرمتها للغتها وسعيها لاتقانها. وان الذي لا يغار على لغته لا يغار على أمته »[1]

فهذا ميزان للوطنية لا نعرف ميزانًا أصح منه في الدلالة على الوطنية الصحيحة فان حب الوطن بمعنى حب السكان خصيصة يشترك بها الانسان والحيوان أما الوطنية التي تتعلق بالروح والعقل والضمير فتلك هي وطنية الانسان الناطق او وطنية الامة التي يجمع لها زمانه ومكانه في ماض وحاضر ومستقبل منصور

ومن الصواب الذي دعوته الى التجانس بين العرب في الثقافة والشؤون الاجتماعية. فمن التفرق في العادات والأفكار حين لا تتحقق معه الوحدة والاتحاد

ورأيه في المرأة هو رأي الحكيم الذي لا يجاري شطط العرب ولا تكوص الجامدين وكان صريحًا في هذا الرأي سمعناه ما كتبه في مقالات او تحدث به في كلامه. ولكنه كان يتحرى الدقة في أحاديث المجالس فلا يسلم من لسان جواد في بعض هذه المجالات

فمن مرة سيدة ذكية في معرض الكلام على مشاهير الأمور والخلاطين في الدنيا كيف يأتي للرجل أن يكون بطلاً في الأمة ولا يكون بطلاً في بيته عند زوجته

فقالت السيدة وهي تضحك وتعني ما تقول: وهل هذا الرجل في رأيكم لا يمكن أن يكون بطلاً حتى الذي حوله في غرفة معشر النساء

وكان من الجد الذي اتصف به رحمه الله يمزح على هذا النحو في مجالسه بين الأصدقاء والأدباء وله من ذلك ظرف كثيرة يتحدث بها عارفوه

---

(١) من مقال الكبير عنه سكيرتي في العلم العربي ٤ صفحة ٧٠

وقد كان آخر عهدي به أن نفيه باحدى المكتبات في القاهرة فسألني عن مصر وسألته عن الشام كيف يسلك أهلوها في المحنة الحاضرة — محنة الحرب الاوربية التي توشك أن تنقلب حرباً عالمية لا يخرج منها موضع ولا قبيل

قال ان العقلاء يعرفون الحقيقة ويدركون أن انتصار الحرية خيرٌ للقضية العربية من انتصار الدول التي لا تؤمن بحق الحرية لشعوبها فضلاً عن الشعوب الشرقية وبدا عليه الالم وهو يقول « يا أخي : هذه الدول سرطان ومنذا الذي يشفى السرطان ولو كان يشكو ذات الرئة »

قلت يا دكتور طبيب حتى في السياسة ! فكيف العلاج ؟ فابتسم ابتسامة حزين وقال : ربنا يلطف . . . وكان هذا آخر عهدي به ، حتى سمعت نعيه بين الشك واليقين ، ثم غلب اليقين كما تغلب اخبار السوء في كثير من الأحايين

يا للعجائب في هذه الدنيا . . . . . أما إعجاب الرجال الأفذاذ فشيء تعي به جهود الايام وأما القضاء عليهم فشيء تستطيعه شرذمة من الطغام

سبحانك اللهم لك فيما تريد حكمة . ولعل من حكمة هذا المصاب ان يعرف الشرق أقدار الرجال

---

## ٢ — نشأته الفكرية والخلقية في جامعة بيروت الاميركية

للعلامة منصور جرداق
استاذ الرياضة العالية فيها

في أواخر القرن الماضي دخل الكلية السورية الانجيلية ببيروت (الجامعة الأميركية الآن) شاب طويل القامة متين البنية اسمه عبد الرحمن صالح شهندر تلوح على محياه علامات الذكاء والنباهة واللطف والوداعة ودماثة الأخلاق . وشاءت الأقدار أن ينضم الى صفنا فصرنا معاً في الدائرة العلمية وانتهينا في تموز ( يوليو ) ١٩٠١ نائلين معاً رتبة بكلوريوس علوم ثم غاب سنة استجماعاً للقوى ورجع عبد الرحمن الى الكلية ودخل الدائرة الطبية حيث صرف أربع سنوات ونال صيف ١٩٠٦ رتبة دكتور في الطب

وبما انه كان الأول في صفه وممتازاً في دروسه فقد عين بموجب القانون خطيباً عن صفه وطبيباً للمدرسة عام ١٩٠٦ — ١٩٠٧ وهكذا تسنى لي أن أصحبه مدة تسع سنوات كنا في خلالها صديقين حميمين يجمعنا حب المعرفة والدرس والفلسفة والرغبة في خدمة الوطن خدمة صادقة شريفة لخدمة زهرة الشبيبة وتهذيبها وتثقيفها ونشر العلوم الصحيحة بين أفراد الأمة وتسهيل تحصيلها للناشئين ولذلك أنشأنا في سنة « جمعية تهذيب الشبيبة السورية » التي كان قد أنشأها طلبة الكلية لتلك الغاية السامية كما تشهد تقاريرها السنوية المحفوظة في مكتب الجمعية

لقد كان عبد الرحمن مثال التلميذ النجيب بجده واجتهاده وذكائه ونباهته وحدة ذهنه

ومثابرته على الدروس والمطالعة واعترافه بكثير من واجباته المدرسية والقيام بها خير قيام وطاعته التامة للقوانين لأنه كان يتدين الواجب ولا يتهاون في شيء مهما يكن زهيداً وطفيفاً عملاً بالمثل القائل « التقصير في الأمور الزهيدة نقص خطر ثقيل ويصده عن الوصول الى درجات الكمال ». أضف الى ما ذكر ذاكرة قوية وسرعة خاطر وخيالاً فسيحاً خصيباً وتصوراً سامياً دقيقاً ودوقاً سليماً وضميراً شريفاً للتفوق وهمة عالية وإرادة قوية وروحاً عظيمة في النظر والتقصي والتدقيق والتحليل والجمع — صفات رجال العلم في كل عصر ومصر

ناهيك بتعلقه من اللغة العربية واطلاعه الواسع على تاريخ آدابها وتاريخ الاسلام وعلومه التي يتعلق ببيانها وبلاغتها وفصاحتها وهذه الأسباب والبواعث شخصيته المتازة فتخيرته الجمعية العلمية العربية بأكثرية ساحقة ليكون خطيبها الأول في احتفالها السنوي سنة ١٩١٠ دون ان يسعى اليه أو يكلم أحداً ليؤيده في الانتخاب. وكذلك اختارته عمدة الكلية وهو بعيد في الدائرة العلمية تمثل المدرسة تمثيلاً رسمياً وترحيب بخليل باشا وزير بيروت والصدر الأعظم سابقاً في أثناء زيارته الرسمية للكلية بالمنتدى الكبير وقد كان لخطابه وقع جميل في نفس كل من سمعه مما حمله على بذل الجهد لتخليص عبد الرحمن من النفي الى فزان فريضة بسعي وشفاعة من أحد جواسيس السلطان عبد الحميد في ذلك الحين

أما صفات القيد الدراسية وأخلاقه فقد كانت سامية جداً في نظر التلامذة والمعلمين والأساتذة لأنه كان صادقاً بريئاً عفيفاً متزناً طائعاً للقانون محباً للنظام يحب الخير لجميع الناس ويرثي لبؤس البشر ومساوئهم في الأخلاق والواجبات ويسعى بموجب ما يعتقد فريضة الوداد والتواضع والأنس وابن الزيكة والشهامة والأمانة وعزة النفس والسؤدد وسعة الصدر وكرم الأخلاق يساهم الزكي الأريحي ويحفزه على مواساة البائس الفقير وحماية المظلوم ونصر الوطنية والعلم بجميع الاعتقاد الراسخ ان الأمة كالجسم الحي ولكي تكون بصورة صحيحة سليمة يجب ان تستفيد من قوى جميع أفرادها وان تكون خالية من الأمراض الوبائية التي تضعفها كالانحطاط والتأخر والموت والزوال

هذه صفات القيد الحميدة والأدبية التي في تعبير عنها بإيجاز وافٍ كنت أود أن أتسع في الوقت الذي أرد فيه ولكن ضيق المكان يحتم عليّ تلخيص ما كنت أحب ان أقوله في القيد الكبير في الكلية من براعته وعبقريته وما كان يرى الأمة وتقدمها وعلى الخطط والوسائل الكفيلة بالنهوض بالوطن من كونه وصل بالشعب الى الكلية ثم الى ما تولاها بعده من الرؤساء الذين ساروا بسفينة الكلية في بحر الحياة الاجتماعية الهائج بالأمواج والأعاصير الى بر النجاح العربي الاسلامي

# صورة ...

وسربٍ من الاشجان — يُطوى لهُ الحشا
على شرَقٍ — من يلقهُ يتبلدِ
بثثنَ الى خلاَّنهنَّ تحيةً
بألحاظ أبصارٍ شواهدَ جحْدرِ
فلما اشرأبت صورة ، ومشى الهوى
بهنَّ وخيفت ، توْحة المتجلد
صفحنَ قياماً ، فاستقلت نحورها
بمنقدةٍ عنها الجلاليب سُهَّد

[ لمسلم بن الوليد ]

# الغذاء والحياة

## بحث جديد في أسرار الفيتامينات[1]
## وصلتها بالأمراض والأغذية التي تتوافر فيها

عوض جمدي

أدرك البشر منذ قرون أن بعض المعدات الصحية ، لأمراض البشرية ، يتاح اتقاؤها أو علاجها ، بأكل أطعمة خاصة ، فكان قدماء المصريين والصينيين مثلاً ، يعرفون فن الميلاد بخمسمائة سنة وألف . ان الأفراط في التغذي يكاد يخس حالة الاعشاء . على حين أن العلم الحديث لم يكتشف هذا السر إلا قريباً ، إذ ثبت بما ( فيتامين ) الذي في أكاد الحيوان ، صلاح غذاء تلك الآفة الصغيرة التي يتحي بها أثر ... فما يتناول الأكاد في غذائه

وفي الأطعمة ، لا يقل عن خمس مواد مختلفة ، تستطيع قرون الاستشعار فيتامين ( A ) أربع منها صفات صفر تذوب في الشحوم وقد تذوب في ... تسمى هذه تلك الصفات أحياناً بوادر فيتامين (أ) لأنه تتحول اليه . أما خامسها فيتامين (أ) نفسه . تقدم الصفات الصفر الأربع للنباتات كروتينويدات ... بلورات صفر ، رائقة اللون ردة ... كالا ... والجسم قادر على تحويلها الى فيتامين (أ) . ثم إن الاسم الكيميائي « كاروتين » جزري ... مشتق من كارت ... جزر . والخضراوات الصفر ، الخضر ... صانع غرين ... بان لأن هذه المركبات تلازم اللون الأخضر في ... [2]

وتوجد ... الأحمر أو الأصفر علامة تقريبية ... على كمية الكاروتين الجزرين في الأغذية ... فإذا الأصل ... كذا ... ذلك ... دون وجود ... جزرين في النبات

أما فيتامين ... نفسه فمن واقع ... وهو ... في ... درجة الحرارة عادي ... توجد ... منه في جزء ... أطعمة ... فيه التي من أصل حيواني .

---

(١) ... المجلس ... في ... المجلس ... الأول

(٢) راجع ... في حياة ... الحيوان ... المجلد ...

إذ تقوم الحيوانات بتحويل الكروتينات وأحد عناصر الأوراق الخضر والخشيش وغيرها من أنواع العلف الى فيتامين (أ) في أجسامها

ويبدو بعض ذلك الفيتامين في أنسجتها عموماً ولا سيما في الكبد والكليتين ، والى حدٍّ ما في شحمها . ويُعزى بعض تلوّن فيتامين (أ) في اللبن والمادة الدهنية في الزبد الى الكروتينات ، وبعضه الى فيتامين (أ) نفسه المحوّل في جسم البقرة من الكروتينات التي في علفها . وفي وسع البشر والحيوان اختزان مقادير كبيرة من فيتامين (أ) في أكبادها . ومن المعروض عموماً أن أكثر من ٩٠ ٪ من مجموع فيتامين (أ) الذي في الجسم البشري ، مُدّخر في الكبد ليستعين به على سدّ حاجته منهُ ، حينما يقل مقداره في الأغذية التي يقتذي بها المرء . فاذا ما نفد ذلك المُدّخر او قرب ذلك ، ظهرت في الجسم عاجلاً أدلة ذلك النقص وأولى بوادرها العشا (١) وهو إن عيي الأعشى اذا تعرضنا لضوء ضئيل ، عجزنا عن التكيّف وفقاً له بسهولة . ويبدو هذا العجز جليًّا حينما يخرج الأعشى من مسرح ساطع النور ، فتعجز عيناه عن التكيف وفقاً للنور الضئيل خارجاً ، او على عكس ذلك عندما يدخل مسرحاً ضئيل النور بعد اجتياز مدخله الساطع النور

وثمة اصابات من العشا لا يكون منشؤها نقص فيتامين (أ) . كما إنهُ يتولد من فرط نقص فيتامين (أ) أو التمادي في ذلك النقص ، ضعف عضلي وتغيرات في بناء بعض الخلايا البدنية وهي الخلايا الخاطية ، التي يتألف منها الغلاف الواقي لكل سطح من سطوح الجسد . ومتى وقعت تلك التغيرات في تكوين الخلايا ، عاقتها عن قيامها بوظائفها على الوجه المرسوم . فيصحب الأدوار الاخيرة من ذلك النقص ضرب شديد من أمراض العيون

كان فيتامين (أ) يسمى احياناً بالفيتامين المقاوم للعدوى . وتستعمل المقادير المكثّفة منهُ للوقاية من نزلات البرد أو علاجاً لها ولغيرها من الأدواء

وقد نشر حديثاً بعض ثقات الاطباء تقارير في هذا الموضوع أنكروا فيها تأثير فيتامين (أ) في منع أمراض معينة لأن استمرار المرض في جسم ما او زواله منهُ يتوقف على مجموعة من الظروف

ويقتصر وجود فيتامين (أ) الذي من هذا النوع على الأطعمة التي مر أصل حيواني . وأغزر مصادره الطبيعية أكباد الحيوانات المختلفة الأنواع وبعض طوائف السمك . ويحتوي بعض الأغذية الحيوانية الأصل على فيتامين (أ) وعلى الصبغات الصفر الكروتينية ، التي تتحول اليه ومن هذه الأطعمة اللبن والزبد والجبن والبيض وعجمه

---

(١) العشا — ضعف البصر ليلا والنهار كما تشاؤه او تعمى حينما تغرب الشمس وتعشى ترضى وتعشي وهو يبصر وأعشى وهي عشواء وجمعها عشي او عشاء عشي يمشي الجوت أعشى تكيفاً ذاته

وتقدير مقادير فيتامين (أ) في اللبن وما يصنع منهُ كل اليوم وفقاً لمقدار ذلك الفيتامين أو الكروتين في علف البقرة نفسها. ففي فصل الصيف حيما يعتلف البقر بمقادير وافرة من الحشيش الاخضر الناضر. يزيد مقدار فيتامين (أ) في لبنه عليهِ في فصل الشتاء

وتحوي أغلب الفواكه الناضجة بعض الكروتين. وكذلك الخضراوات الورقة خضراً وصفراً تعتبر مصادر فائقة للصبغات الصفر الفعالة في فيتامين (أ)

وفي الخضراوات ذات الاوراق والرؤوس مثل الكرنب والخس تقرر مادة الكروتين «الجزرين» في الأوراق الخضر الخارجية أكثر منها في أوراقها البيض الداخلية. ومن مصادر الجزرين «الكروتين» الفائقة ايضاً. الجزر الأحمر والأصفر والبطاطا الصفراء اللب والطاطم الناضجة

ويقدر ما يحتاج المرء اليهِ يومياً أن كان من بالغي سن الرشد الأسوياء الخلق. من فيتامين (أ) مقدار يعادل ما يوجد في ثمن جالون من اللبن الكامل وبيضة واحدة وثلث أوقية من الزبد ومقدار متوسط من الخضروات المورقة صفراً كانت أو خضراً. وليس مهماً استفاد هاتيك الأغذية جميعها ليحصل منها المستهلك على حاجته من فيتامين (أ) لأن هناك أطعمة شتى غيرها، تسد مسدها، في تموينا بفيتامين (أ) المبتغى

***

والفيتامين الذي أنفا تسميه بفيتامين (ب) تبين حديثاً أنه مركب من فيتامينات متعددة. ومنها الفيتامين، المعروف الآن بفيتامين (ب) رقم ١ وفيتامين (ج) أو الريبوفلافين. أما فيتامين (ب) القديم فيسمى الآن عموماً فيتامين (ب) المركب

وفيتامين (ب) رقم ١ لا يمكن تركيبه كيميائياً على غير تركيبه بالوسائل الطبيعية الجارية في الجسم البشري. فلا بد من تناول الانسان له عن طريق طعامه. ويتوخ أن لهذا الفيتامين شأناً عظيماً في قدرة كل خلية حية في الحيوانات الدنيا والنباتات وفي الجسم البشري أيضاً على تمثيل الطعام. ولا غرو فيه فالحيوانات جميعها تموء ضئيلاً وتتكون الخمائر ونمو النباتات السامية أيضاً وفي وسع النباتات صنعه واد خاره في بذورها ولا سيما في أجنتها

أما في جسم الانسان فان فيتامين (ب) الغذائي يتوفر من أغذية شتى لا تشتمل الا على مقادير يسيرة منه. وقد تكون مقادير فيتامين (ب) في غذائنا عن درجته المعتادة المرغوبة كان من الضرورة طروء حالات استثنائية. وقد تفقر الجسم في غذائه الى فيتامين (ب) أصلب الفروض الذي يدعى ذات البرى وهو البري — بري[١]. وهو داء واسع الانتشار

[١] ... وقد شوهد في الاسكيمو ... الذين لا يتناولون سوى السمك والدهن في الاشهر ... حتى يعود عليهم بعد ظهور بشكل حاد ... يتزوجن في الخامسة والثلاثين ويعيشون ... معجم شرف بك

وخصوصاً في الأقطار الشرقية بين الشعوب التي جل غذائها من الأرز المبيض ، لأن تبيضه بمجرده من القشور الخارجية المحتوية على ذلك الفيتامين . ومع أن حرمان الجسم حرماناً كلياً من غذاء محتوٍ على فيتامين ب١ قد يفضي الى اصابته بمرض البري — بري الا أن لذلك الحرمان ، درجات متفاوتة تحدث اعراضاً تختلف منه وطأة . ففي أدواره الأولى قد يشكو المرامقون التعب والخمود والصداع والاضطراب العصبي وفقد الشهوة للطعام ثم تعقبها أعراض أشد منها ظهوراً . ولما كان النقص الغذائي الأول في مرض البري — بري هو نقص فيتامين ( ا ) فلا يبعد حدوث عجز كذلك في العوامل الغذائية الأخرى . وقد يصدق هذا في حالات الافتقار الغذائي الأخرى ولكنه أصدق ما يكون في حالة نقص فيتامين (ب١) لأن أول أعراض المرض هو فقد شهوة الطعام فتفضي الى نقص المقدار الذي يتناوله المرء ثم الى عزوفه عما يتناوله من المواد الضرورية الأخرى

وبما أن الجسم البشري عاجز عن ادخار مقادير كبيرة من فيتامين ب رقم ١ فإن الناقع به حصوله على مؤونة متواصلة من ذلك الفيتامين في غذائه . وهذه الحاجة ميسورة في معظم الأغذية الشائعة في هذه البلاد . ولكن طريقة طحن الحبوب طحناً جيداً بغية الحصول على دقيق حُوَّاري[1] وكذلك صقل الأرز ، تحسيناً لمنظره ، ثم رش الفواكه بالكبريت مما يقلل فيتامين ب١ في أغذيتنا في هذه الديار (يقصد الكاتب بلاده الولايات المتحدة الاميركية) وما جرى مجراه

***

وبعد ما تبين أن داء الاسقربوط البشري من الأدواء التي تتولد من نقص الفيتامين في الجسم ، انقضت ٢٥ سنة أخرى قبلما كشفت المادة التي تحدث الوقاية منه وتشفيه . وهي بها الفيتامين الثالث وهو فيتامين ذا ت . ثم أخيراً استخلاصه من الأغذية وذلك في شكل مركب كيماوي معروف التركيب والصنع . أما وقد انقضى اكثر من ست سنوات على استخلاصه ، فان مبلغ تأثيره في الجسد ، ومبلغ افتقاره اليه في مراحل العمر المختلفة . لا تزال من الأمور التي يلابسها كثير من الشك

ومن المصاعب كون هذا الموضوع ، لم يعد مقتصراً الى حد بعيد على فقد الفيتامين الضروري لدرء أعراض الاسقربوط وهي آلام المفاصل وتيبسها وتورم الشعيرات وسيلان الدم ، ثم تخلخل الاسنان وتزف الدم تحت الجلد في أعضاء مختلفة من الجسد . فان هناك أعراض الشديدة الوطأة أصبحت الآن نادرة في الولايات المتحدة الأميركية

ولكن هذا لا يعني أنه ما من باعث يبعث المواد الأعظم على الخوف من عدم نقص فيتامين ذا ت في أجسامهم ، لأن كثيراً من الأعراض الغامضة لاعتلال الصحة ، ومنها الفتور في النوم والهبوط

(١) الدقيق الأبيض الناعم وهو لباب الدقيق

عند الاطفال والرضع والشهور بالانحطاط عند بالغي سن الرشد ولا سيما في أوائل فصل الربيع (حتى الربيع) لا بعد ان تكون أسبابه الخاصة الى فيتامين (ك ت) في أجسامهم، والوجه انهُ ولو لم تظهر علامة واحدة خارجية تدل على المرض، يصح أن يصبح المرء، من افتقاره الى فيتامين (ك ت) في حالة أخطر من اصابته بمرض الاسقربوط نفسه. فاذا لم تعالج تلك الحالة الحق الضرر أسنانه وعظامه، واتاب الضعف جهازه الدموي أيضاً. فلن يقوى على كفاح الأمراض الخطرة. وفي وسع كل امرئ شراء فيتامين (C ت) نقيًّا وذلك من مستودعات الأدوية أقراصاً صغيرة بيضاً، اسمها Cevitamic acid الحامض السيفيتاميك وله اسم آخر أكثر شيوعاً من هذا وهو Ascorbic acid الحامض الأسوربيك. وذانك الاسمان يدلان على أن ذلك الفيتامين حامض. والواقع انهُ ذو طعم حامض قليلاً يشفُّ عن كونه من الأحماض

ويتأكسد الفيتامين بسهولة في المواد الغذائية. ومتى حدث ذلك، كما هي الحال في الأغذية التي تعرض للهواء زمناً طويلاً تعذرت اعادتها الى حالتها الطبيعية الفعالة. وعدا هذا فان بعض فيتامين (C ت) الذي يدخل الجسم في الأطعمة التي تحتويه أو نقيًّا أي أقراصاً من الحامض المذكور قد يفسد قبل استعماله. إذ فيتامين (ك ت) غير ثابت على الاطلاق وسهل الضياع. ومن الميسور بعض التجارب الكيميائية الاستدلال على تأثير الفيتامين في خلال انتفاع الجسم به. كما انهُ تتسنى مراقبة التغيرات التي تطرأ على الجسم عند امداده بالفيتامين او حرمانه منه. وقد دلت المباحث على حدوث تغير ذي بال في أنواع غذائية يؤتى بها وذلك حول الخلايا في بعض أنسجتها الدقيقة وهي نواع الدماغ ونواع النسل والانسجة الموصلة المختلفة المنتشرة في الجسم كله

وهذه الخلايا تكون عادة محتوية على مادة هلامية شبيهة فتصير هذه المادة في أجسام الحيوانات المحرومة من فيتامين (ك ت) سائلاً مائياً عاجزاً عن تكوين الخلايا. فاذا أعيد تموينها بالفيتامين، استعادت حالتها الأولى الهلامية الشكل، فتعود كثيفة كثافة الهلام بتأثير البكتين[1] عند اضافة هذا الى الهلام في صنعه

ومن نتائج الافتقار الى فيتامين (ك ت) في الجسم أيضاً، افتقاراً يستدل عليه من تقصير المادة المتحدة الخلايا في [illegible] الى هلام، إرجاء اندمال الجروح. وقد ثبت من التجارب التي جربت في الأراضي [illegible] ان الجروح التي تجرح فيها عمداً تندمل اندمالاً وئيداً، حينما تغذى الغذاء يفتقر فيه فيتامين (ك ت) عنهُ حينما تغذى بغذاء يجرى فيه الفيتامين عنه. وتبين أيضاً [illegible] في أثناء ذلك الاندمال الشيء يتمزق نسيج الجرح تمزقاً سهلاً جداً

---

(١) البكتين — مادة [illegible] متحدة مع حامض في العواكه كالمرصه والمشمش والخوخ والكرز — ممجو شرف ك

وهذه النتائج توضح لنا سبب تعرف الجروح من حين الى آخر ، دون دليل على وجود المرض في الكائنات البشرية ، إذ تحسب القرح الهضمية المستديرة في المعدة peptic ulcers جروحاً ولذلك بعدّ أنجح علاج ـ الآن توافر فيتامين ( C ت ) في غذاء المصابين بها . أما في الزمن الغابر فكان الحمام الذي يوصف لمرضى القروح يكاد تفتقر افتقاراً كلياً الى فيتامين ( C ت ) .

وبعد التمكن من تحديد دخل خمسة وعشرين فيتامين ( C ت ) ، تبين ان حاجة كبيراً منهُ يختلف في بعض الأمراض المختلفة ، اكثر منهُ في الأحوال العادية

فالسرطان الرئوي مثلاً وهو من الأمراض المعدية يستنزف بمقداراً كبيراً من فيتامين ( C ت ) ولذلك دأب الأطباء من زمن بعيد ، في حث المسئولين على الأفراط في تناول عصير البرتقال ، أو عصير الطماطم ، عند علاجهم بطريقة التغذية الخاصة . ويخيل الى الباحثين أن الجراثيم المولدة لذلك المرض تمتلك بهذا الفيتامين ، غير أنهُ ثبت الآن ببعض الأدلة ان لهذا الفيتامين شأناً خطيراً في مكافحة ذلك المرض ، لأنهُ ضروري لاتمام قيام مصل الدم بوظيفته كما يجب ، وهي القيام مقام خط الدفاع الاول لوقايته من الجراثيم التي تحاول غزوه

ويقدر ما يحتاج اليه الكل بالغ لسن الرشد ، ودون الرشد والاحداث من فيتامين ( C ت ) بنسبة عشر ملليغراماً الى ١٠٠ ملليغرام او أكثر

اما الذين اعتادوا في كل فصول السنة تناول كوب من عصير البرتقال أو غيره من عصارات الفواكه مثل الليمون الهندي او التوت الفض . في مواسمها ، فلا خوف عليهم من نقص بجوع فيتامين ( C ت ) الذي يتناولونهُ يومياً من تلك المصادر جميعها عن ٧٥ أو ١٠٠ ملليغرام . لأن الكوب الصغير من عصير البرتقال يحتوي على نحو ٥٠ ملليغراماً من ذلك الفيتامين اما الكوب الكبير فيشمل ١٠٠ ملليغرام . وغير استعمال البرتقال يسهل اسبيلاً حشد مجموعة من الاطعمة اليومية المتنوعة تزوّد آكلها بمائة ملليغرام او أكثر من ذلك الفيتامين . والناس يختشون سوء عواقب اللثة الدامية والتهاب اللثة وسيلان الدماء منها عند أدنى تهيج يلحقها وكذلك تهيج الأسنان وسيلان العديد منها عند [illegible] بكرتا باحتمال تحللها الرهيب والمتاعب التي دارت في الأرانب هي والبشر لا تترك مجالاً للشك في ان وفرة فيتامين ( C ت ) في الجسد ، أوفى وسائل الوقاية [illegible] ذلك الداء

***

أما فيتامين ( D د ) فيتظم بين الكلسيوم والفصفور في الجسم ، فهو يدخل بمخصٍ يتكون العظام والاسنان تكويناً صالحاً . ويمكن أن يسهل امتصاص الكلسيوم والفصفور من مادة الغذاء الغذائية وسيلة ما . ومع ذلك فهو لا يقضي [illegible] مقدار كبير من الكلسيوم

والكساح. ولعلاقة فيتامين ( D د) بتمثيل الكلس والفسفور في الجسد، كان من الطبيعي توقع وضوح الافتقار اليه، الى أقصى حدّ في زمن الرضاعة وأوائل الطفولة حينما تأخذ عظام الرضيع الليّنة الغضروفية في التحول الى عظام ثابتة صلبة. وفي ذلك الحين أيضاً يأخذ الهيكل العظمي في النمو نموّاً عظيماً، كما تظهر في تلك السن أدلة نقص فيتامين (D د) في الجسم بأجلى مظاهرها اذ يعرض الطفل للاصابة بالكساح أو لين العظام. وفي الجلد البشري مادة الاستيرول (Sterol) وهي سابقة للفيتامين وتكون مقترنة في أغلب أنسجة الحيوانات وخلايا أبدانها بمادة اخرى تسمى كوبسترول (Coprosterol) وعندما يتعرض مرور لنور الشمس، تنشط مادة الاستيرول في جلده فتكوّن فيه فيتامين (D د). ويتوقف تأثير نور الشمس المضاد للكساح على قوة الأشعة التي فوق البنفسجية (Ultraviolet) المنبعثة من ذلك النور. وفعل نور الشمس في الزنوج وبعض الشعوب السمر أضعف منهُ في البيض. فاذا لم يتعرضوا لنورها زمناً أطول من تعرّض الشعوب ذات البشرات الرقيقة له، عجزوا عن الحصول على حاجاتهم من فيتامين (D د) وبعبارة اخرى إن التعرض لنور الشمس، يعوض بعضاً من فيتامين ( D د) أو كلهُ في من يحتاج اليهِ من البشر حينما يقتصر تموينه بذلك الفيتامين على المصادر الغذائية. والوجه ان حاجات الانسان الغني من الزنوج من فيتامين (D د) لا يفي بها. ويرى كثيرون من ثقات الباحثين الأضرورة لجعل الغني من الزنوج بهذا الفيتامين الا اذا كنّ حوامل أو مراضع

كما إن مبلغ حاجة الانسان الى فيتامين (D د) لم تعرف أيضاً. وانصرفت معظم المباحث الخاصة بتقدير حاجات البشر الى فيتامين (D د) على تحقيق الانتفاع بزيت جنين القمح (Wheat germ oil) من تأثيره في أحوال السقم والاجهاض المتكرر عند النساء (Habitual abortion) فأسفرت تلك المباحث عن كون زيت جنين القمح لا يجدي في علاج السقم. والتوكوفيرين (Tocopherol) هو الاسم العام الذي يطلق الآن على الفيتامين الأصفر (Vitamin E) القابل للذوبان في الماء وهو يوجد في طائفة كبيرة من الأغذية الطبيعية. وفي السنين الماضية كان هذا الفيتامين يعرف بأسماء مختلفة ومنها التكوفلافين (Tocoflavin) والفيتامين (Vitamin) وقد باءت المجهودات الأولى التي بذلت في تركيز هذه المواد بفشل ذريع. فالخلاصات والشحم والكربوهيدرات والأملاح غير العضوية، بأشكالها التامة والمكثفة، لم تضف الى الغذاء مقادير طفيفة من عشرة الجين ودهن الزيد من الحيوانات نموّ [illegible] مظاهر حسن التغذية[1]

واستغرق البحث زهاء عشرين سنة حتى تأكد [illegible] أن المادة المونة الصفراء الفاقعة للذوبان في [illegible] التي في عشرة الجين [illegible] في سائر [illegible] في تربة الحيوانات تربية

(١) وتجد [illegible] في [illegible] تراكيب [illegible] عشرة الجين فتنبه لذلك

ناجحة بغذاء بسيط . وتبين لهم أن الجرذان البيض الصغيرة التي كانت تغذى بمقادير كافية مما من باقي الفيتامينات الضرورية لنموها ، ما عدا الريبوفلافين ، أخذت شعورها تتحسر عن أشفار جفونها ، وطرد سقوط شعورها حتى كادت تتجرد منها . وفي أثناء ذلك البيت جلودها واتتفخت انتفاخاً عاماً ، وخصوصاً حول مخارجها وآذانها وأنوفها وأفواهها . أي بما أصيبت بمرض جلدي dermatosis فتشققت أيامها أقدامها وجفت جفافاً شديداً وتساقطت بالتعاقب من عند مفاصلها . وأضيفت الى ذلك الغذاء بكمية من الوجوه الأخرى ، مقادير يسيرة جداً من الريبوفلافين ، فاستعادت هذه الحيوانات عاجلاً نموها الموقوف ، واسترددت شعرها المفقود اذ اكتست جلودها بفراء كثة ملساء ، وشفيت من ذلك المرض الجلدي . وتأثير فيتامين الريبوفلافين يتضح شيئاً فشيئاً ويتصل لونه الأصفر بذا المرض للضوء النطيعي

والريبوفلافين منتشر في الطبيعة انتشاراً واسعاً ، اذ انتيح استخلاصه من اللبن وزلال البيض وبحه والكبد والكليتين والشعير المزرَّع والخميرة العضوية وأزهار نبات الأسد dandelion أو هندباء البر وحشائش الحقل . ويوجد الريبوفلافين في لحوم عضلات الحيوان جميعها حيث يزيد في الأحمر منها عنه في الأبيض . وتحتوي أغلب الفواكه والخضراوات على بعض الريبوفلافين ولكن أوفر النباتات احتواء عليه هي الأوراق الخضر في النبت والسانخ ورؤوس الجزر وكرنب الشتاء kale . أما المقادير الحقيقية للريبوفلافين في أغزر مصادره الغذائية الطبيعية ، فضئيلة جداً غير أنها من وجهة الاحتياجات الغذائية اليها ذات شأن خطير . فالحليب مثلاً يحوي من الريبوفلافين نسبة لا تزيد على جزء واحد في ٦٠٠٠٠٠ جزء مع العلم بأنه من أعظم المصادر لذلك الفيتامين في الغذاء المتوازن المقادير . وتضم كتب فريبوفلافين في أغذية الأحداث أكثر من ذلك أيضاً . ومنذ بضع سنوات وصف واربرج وبستين Warburg and Christian خميرة كيميائية صفراء استخرجاها من خلايا الخميرة العضوية عند المأثورة لخصصاها لاحداث الاكسدة الخلوية . والريبوفلافين عنصر من عناصر تلك الخميرة الكيميائية الصفراء حيث يتحد فيها مع كل من الحامض الفصفوريك ومادة بروتينية شبيهة بالزلال . ولعلك تعلم أن الريبوفلافين ضروري للجسم الحيواني لكي يستعد هذه الخميرة الكيميائية قوة تمثيل الطعام في الخلايا . وما كون الريبوفلافين ذا علاقة وثيقة بعمليات الحياة . ويدو جلياً من جزالة وجوده في أكباد الحيوانات وكلاها وقلوبها كما يغزر في الأوراق الخضر وفي الخمائر الى حدٍّ غير يسير ونظير انتشار الريبوفلافين في كلٍّ من الأغذية ذات الأصل الحيواني والنباتي ، من الأهداف لنشر النقص الريبوفلافين في أجسامهم [illegible]

# خاتم العرس

قصة مصرية

لمحمود فهمي بك

كثيراً ما نصادف في حياة بعض الناس ما يثير الاعجاب من سمو الفكر وسداد الرأي ونبل العاطفة حتى لكأنهم فوق مُعاصريهم مرتبة او أنهم سبقوا العصر الذي ظهروا فيه

وكان حسام من هذا الفريق لما يتجاوز الثانية والعشرين من عمره حتى اتجه وفاؤه حبًّا كانوا لا يصبرون معهُ على البعد عنهُ. يجتمعون عنده في كل خميس وفي ليالي الأيام التي تعطّل فيها مصالح الحكومة وهم يفضون الوقت الى ما بعد منتصف الليل بالسمر الشهي البريء

وكثيراً ما كان يجرّهم الحديث الى تناول سير اهليهم وشؤون أسرهم وما يكون قد تخللها من نوازل وأحداث. ولكن حساماً كان يمسك عن الخوض معهم في حياته الخاصة مقتصراً على السلامة العربية التي انحدر منها فيذكر ما للعرب من العادات وما اتصفوا به من خلق البأس وسجيّة الشجاعة الى حد الاستخفاف بالدم في سبيل الأخذ بالثأر وهم مسوقون الى ذلك بدافع عنيف من الكرامة والاعتزاز بالتقاليد

وكانوا اذا استزادوه من طرف خفي لعلهم يصادفون في حديثه ثُلمة يندفون منها الى لبه ونشأته ادرك غرضهم فيلجأ الى بعض الأمثلة على ما لتلك الخصال عند أسلافه من الرعاية والتقديس. فهم يقترون من الزواج اذا سبقه تشبيب بعدوبةٍ رجساً وعاراً. ولا يسمحون بالزواج ممن هو من غير القبيلة حتى لا تختلط الأنساب

وعند ذلك يحتدم الجدل ويتعالى الحوار وهم ذاهبون كيف يكون الحب عند العرب جرماً فيدلّون بذلك على بُعدهم عن أبسط نظم الحياة. وما كان الحب الا الأساس السليم الذي يمد صلة الزوجين بالقوة ويكتب لها البقاء وهو يفتح امامهما طريق السعادة ويجعل من تلك الصلة المحكمة جنة الأرض ونعيم الدنيا. ثم يحنون عليهم في تعصبهم القاسي لصراحة الأنساب وما يجره على الأفراد من الخيانة على حريتهم والوقوف في سبيل أمانيهم

وكان حسام في خلال ذلك يلتزم الصمت وينصت الى ما يُدلون به من الحجج حتى اذا فرغت جعبتهم منها أخذ يفتح عيونهم على ما يجهلون من سجايا أسلافه وسلامة تقاليدهم. فقال

أحد أنهم يتمرون من الحب وهو ضيمي لا يمكن دفعه وضروري للدوام تلك الصلة وانما هم يعتون الشبيب بالعذارى والفارغات من النساء لأن هذا ما يفتح باب الشك في عفتهن . ولذلك كان في نظرهم سبة ورجساً ثم ان ما ركز في نفوسهم من البأس والاستخفاف بأرواحهم في سبيل العزة القومية لا ينهض غير العصبية وهي لا تقوم الا على صحة النسب وعجانته مما يفسده الاختلاط البعيد على ان العرب قوم على الفطرة التي جبلت نفوسهم أكثر تهيؤاً لقبول ما يرد عليها من الفواعل وينطبع فيها من البواعث فكل ما شذ عليهم من قيود التقاليد انما هو وليد ما رسخ في بواطنهم من آثار تلك الفواعل التي تعلقت جذورها فيها فأصبح من العسير عليهم التخلص منها وقد صارت بعد ما درجوا عليها والفوها خلقاً أصيلاً وتمزلت منهم جبلة راسخة حتى أن بعض المتحضرين منهم الذين انغمسوا في ترف المدن المتحضرة وفترت نفوسهم أو كادت عن المقاومة بعد أن اطمأنوا الى سهر الحكومة وحراستها لا تزال بعض تلك التقاليد راسخة فيهم رسوخ العقيدة . ولعل ما يصادفنا كل يوم من فواجع الأحداث بين أفراد العرب في الصعيد والوجه البحري خلال الثأر أو ثورة الغرض لأكبر دليل على ما لبعض تلك العادات في نفوسهم من التأصل والاستقرار

وما كان يخفى على حسام غرضهم من كل هذه المحاورات ولا كان يغض عليهم مما يغيون لولا أنه هو أيضاً لم يكن يعرف من أمر أبويه شيئاً الا ما كان مذراً قليلاً لا يشفي . وكل ما بقي في ذاكرته من أمر ان أمه اختطفته ذات ليلة من سريره الصغير على أثر صوت شديد دوّى في الحجرة فأيقظه . صوتاً صرخ أبوه على أثره وأمه تتحدر به على درجات السلم انحداراً ثم انطلقت به وهي تعدو وتتعثر في طرق المدينة المظلمة الى أن بلغت به داراً أخرى اطمأنت عليه فيها

لقد كان عند وقوع هذا الحادث طفلاً لا يتجاوز السادسة من عمره وكان فكره عند تلك الصرخة مشوشاً وهو لا يزال في غشية من النوم فلم يشعر أكثر من أن مصاباً وقع لأبيه وأن أمه كانت تخشى عليه منه حتى أنها أسرعت تطلب الفرار به من ذلك المكان . ولا بدّ أن أياماً قضى على أثر ذلك الحادث لأنه لم يره من بعده . ثم ان أمه التي كانت تزوره بالدار الجديدة في فترات متباعدة ثم وقفت زيارته وانقطعت أخباره عنه . فما الذي جرى لأبيه وما الذي جرى لها ؟ ومن ذلك الرجل الخصم الذي استودعته به ؟ وهو لا يزال يذكر تلك الليالي أضطربت فيها تلك الدار بالخدم يتسارعون الى سد النوافذ وابصاد الأبواب والصياح عند ما اطفأة ذلك الضجيج بالعصر فدخلي من مدرسة المبشرين الاسبانية الآن ليتوجه القسم من ابيه خبر يقين وكانت تشرح له باب الخامس الحاجز ومعجبات صنعا أجهد نفسه في حل رموزها دون أن يهتدي

وفي يوم من الأيام اتفق رفاقه على ان يذهبوا بهم الى حفلة ساهرة بدار الاوبرا لمشاهدة احدى ما في شكسبير. وكان على الزائرين ان يحضروها في ملابسهم الرسمية وما كان لدى حسام وفتشديه ردنجوت. فلما العرض ولا كان في الوقت متسع لأعداده فأشار عليه رفاقه باستئجاره كما يفعل كثير من الناس في مثل هذه الاحوال الضيقة ولاسيما أنهُ ما كان ليرتديه الاَّ بضع ساعات الحفلة. ولذلك اسرع الى رجل يعرفه كان يعيش على إقراض الناس مقابل ما يرهنونهُ عنده من منقولاتهم

وكان غرضه من ذلك أن يدلّه على المخازن التي تؤجر مثل هذه الثياب ولكن التاجر استهزأ به وهو يفكر ثم قال أظن أن لديَّ طلبك فان سيدة حضرت اليَّ من زمن وأودعت عندي ردنجوتاً كالذي تطلبه. وعند ذلك تناول سجلاً أخذ يقلب صحفه حتى اذا عثر على الرقم الخاص بتلك السلفة قصد الى إحدى العيون المثبتة في الحائط وأخرج منها صرَّة ناولها اياها فشكره ووعده برده

وكان الردنجوت جديداً حتى كاد يقطع بأن صاحبه لم يلبسه الاَّ انه بسبب طيه في تلك الصرَّة أصاب بعض اجزائه تثنٍّ يزول متى مرت عليه يد الكوَّاء

ولكنه أخذ يفكر في امره وهو يقول لولا ان صاحبه اصبح بعيداً عن هذه الدنيا لكان سعى الى رهنه بنفسه أما وان التي رهنته سيدة فهي اما زوجه وإما أمه أو إحدى قريبات قرباه. وعند ذلك يسبح في بحر خواطره فيذكر ان صاحبه كان في بسطة من الرزق لأنه لا يقتني مثل هذه الثلاثين الاَّ من كان من ذوي الجاه واليسار. وينتقل من ذلك الى ان تلك السيدة لم تتصرف به الاَّ بداعٍ من الفقر والحاجة شديد. وعندئذٍ تظلم الدنيا في عينيه وتجري دموعه لهذا المصير الذي أصبحت آيله بعد ما كانت فيه من مطارف النعمة

من عساه أن يكون صاحب هذا الردنجوت. ومن تراها تلك السيدة التي عضها الجوع فهان عليها أن ترهنه لا أن تبيعه لأنهُ عزيز عليها؟

هكذا أخذت هذه الاسئلة تروح وتجيء أمام عينيه وهكذا نسي اخوانه ونسي العرض الذي استأجر الردنجوت من أجله لأنهُ أصبح وكل همهِ أن يهتدي الى اسم صاحبه والى مكان التي رهنته ليسرع اليها ويرده عنها. وعند ذلك وقع نظره على أحرف منقوشة فوق حجر الأعلى من البطانة فلم يرتد في أنها اسم التاجر الذي صنعه ولذلك أسرع الى حانوته بعد أن سأل عنه. وكان التاجر طاعناً في السن وقد مرَّ على تفصيل هذا الردنجوت زمن بعيد ولكن صاحبه كان من صفوة زبائنه فلم تكد تقع عيناه عليه حتى تذكره ولكن حسام شعر انها كأن اسباه أصيبت عصبه وأن عرض تزلزلت به وقد علم من التاجر انه لم يكن لغير [illegible] بيع

لقد أحبت تلك اللحظة الرهيبة في قلبه المعذبة ما اندفن في تراب الماضي من أليم الذكرى . بل لقد ضاعف عذابه ان تلك السيدة التي يحبها لم تكن غير أمه وهي تعاني ألم الفقر ومرارة الحاجة بينما هو يرتع في بروج النعمة التي ورثها . وهكذا عاد مطرقاً مهموماً ولكنه قصد الى المرتين ليقف منه عن مكانها

وكانت تقيم في « قلعة الكبش » وهي ربوة عالية على مقربة من جامع ابن طيلون قامت فوقها حُجر متناثرة على غير نظام تشبه الأكواخ يسكنها فقراء الحي وفي جوانبها كلابهم ودوابهم وأبقارهم التي يتجرون بألبانها . وعلى مقربة منها اولادهم الصغار يمرحون ويلعبون

وكانت الشمس قد أخذت تختفي شيئاً فشيئاً وراء الأفق وقد انعكست عليه أشعتها فتركته كنطاق متوهج يدور حول المدينة حتى اذا غابت وأخذت بوادر الظلام تنتشر في جميع الأرجاء اكتسى الفضاء بلون بنفسجي ثم تشقه أشباح المآذن وأصوات المؤذنين

في تلك اللحظة كانت احدى تلك الحجر تموج بالحركة والنساء على بضع خطوات واجمات ذاهلات حتى اذا خرجت منها احداهن دُرْنَ من حولها فقالت لهن في نبرات حزينة : قضي الأمر . قضي الأمر . انها لن تعيش الى الصباح . ثم أخذن في العويل . وما كان اولئك النسوة غير جارات لصاحبة تلك الحجرة . ولكن الطبقات الفقيرة يعطف افرادها دائماً بعضهم على بعض حتى لكأنهم أسرة واحدة والشقاء يجمع بين المكدودين

ولقد ادرك حسام ان تلك الحجرة لم تكن لغير أمه وهي حجرة خالية يضيئها مصباح حقير مثبت فوق احد حيطانها . وكانت خالية من الأثاث الا من حصير قديم تحت قصعة من بساط عتيق بجدته الزمن . وكانت أمه راقدة فوقها تحت غطاء رث متآكل وكأنها مستغرقة في النوم . الا انها شعرت به فصاحت بصوت ضعيف :

— من ؟ فقال واثر يا سيدتي ثم أخذ يبكي

وعند ذلك ادارت رأسها الى جهته بمشقة وأخذت تنظر اليه طويلا ثم زفرت زفرة طويلة وهي تقول في عبارة متلوية :

— انه هو

— من هو يا سيدتي ؟

— ولدي يا بني لو كم وددت لو أني أراه ولو مرة واحدة قبل ان افارق هذه الحياة . كان من أقصى أماني ان املأ عيني منه وان احدثه عن ماضيه الذي يجهله . ولكني اذكره لك انت وقد ساقك الأقدار اليّ . انه هو يريد أن يشبه منك وانك بي سنه ثم أنه يجمع بينك وبينه الشبه

وكان حسام في خلال ذلك يشعر بسوء حالها وبدنو ساعتها فلم يشأ أن يباعد بينها وبين

تلك الأمنية الأخيرة في الدقائق القليلة الباقية وفتلك أسرع الى يديها يدلكها بين كفيه ثم قال لها في صوت حزين : « ها هو يا أماه . . .

وعندئذٍ دبت فيها قوة جديدة كتلك القوة التي تبثها في المحتضر صحوة الموت فساعدها ثم أسندها الى ساعده الأيسر وأخذ يمسح دموعها بيناه وكانت تنظر اليه مترددة شاكة حتى اذا روى ذلك الجانب الطلل الذي علق بذاكرته من حياته الاولى تهلل وجهها وانبسطت أساريرها وأخذت تفصل له ماجهل من تاريخ حياته وحياتها وهي تضغط على كفه

« نعم يا ولدي إن هذا الردغبوت الذي رهنتهُ هو لأبيك . وكنت كلما حاولت التصرف فيه أنف وهو الأثر التالي الذي أذكره به في أيام الرخاء والنعمة . ولكن الحاجة مريرة قاسية ولقد كان الصوت الذي سمعتهُ ليلة حملتك الى غير دارنا صوت فديغة أرادوك وأرادوني بها فأخطأتنا وأصابت أباك . . إنهم كانوا قساة بحسام ولكنهم ما كانوا ليطيقوا ذلك الحب الذي ربطني بأبيك ولا أن تخرج ابنتهم على تقاليدهم فتتزوج من غريب عن القبيلة . . . »

« وكانوا أيضاً يتعجبون ويتعجبون حتى أني نصحت الى حميَّ جدك لأبيك الذي أودعتك عنده فأدخلك في القسم الداخلي حرصاً على حياتك وحتى اضطررت الى الابتعاد عنك كي لا يهتدوا اليك . ومن ذلك العهد عافت نفسي الحياة وكرهت العالم فأويت الى هذه الغرفة فكانت ديري الذي ترهبنت فيه . وكانت قبري ايضاً ، وان من النور ما هو قاتم فوق سطح الأرض والناس غافلون »

« على انك بحمد الله لا خوف عليك الآن وقد مات أبي وخمدت تلك الثورة التي قضت على أبيك كما قضت على هنائي »

« لقد كان ابوك يحبني ويعشرني وكنت أحبهُ وأعبده حتى لقد ظلَّ هذا الخاتم الذي أهداه اليَّ ليلة عرسنا في أصبعي أزينهُ به وأذكره به . انهُ ليحفظ في حلقته الضيقة كل ما مرَّ لنا من أحلام الماضي الحلوة . . انهُ يرسل الذوى الى نفسي التي تحمرها احزن على ما فات من ذكريات الحب المسترقة فهو يضم . . . كما يضم الرباط الحريري على باقة الورد المقتطع الناضرة »

« ليتك تدري يا حسام مقدار عليَّ حتى اني — حين اصافح يمنا طلبل كأسَّ النسيان ، وأستقبل وأنت توسدني في نعشي ما ينتظرني حيٌّ من النوم الطويل فمدَّ ان يتحدر ظلامه الى جفنيَّ وترتسم صفرتهُ على وجهي — لأرجو أن يظل محاصراً اصبعي الذي تقلص وصغر ، كما لا يزال ذلك الرباط يضم تلك الباقة بعد ذبول أوراقها . . . »

وعند ذلك انفجم نسانها ، ومالت رأسها على صدره فطبع على جبينها القبلة الوداع لأبدي ثم انفجر في البكاء .

# البحر الاحمر

أوصافهُ الجغرافية والحربية

للصاغ عبد الرحمن زكى

# عبرة السنة الاولى

من الحرب

الحدُّ الفاصل بين حضارتين

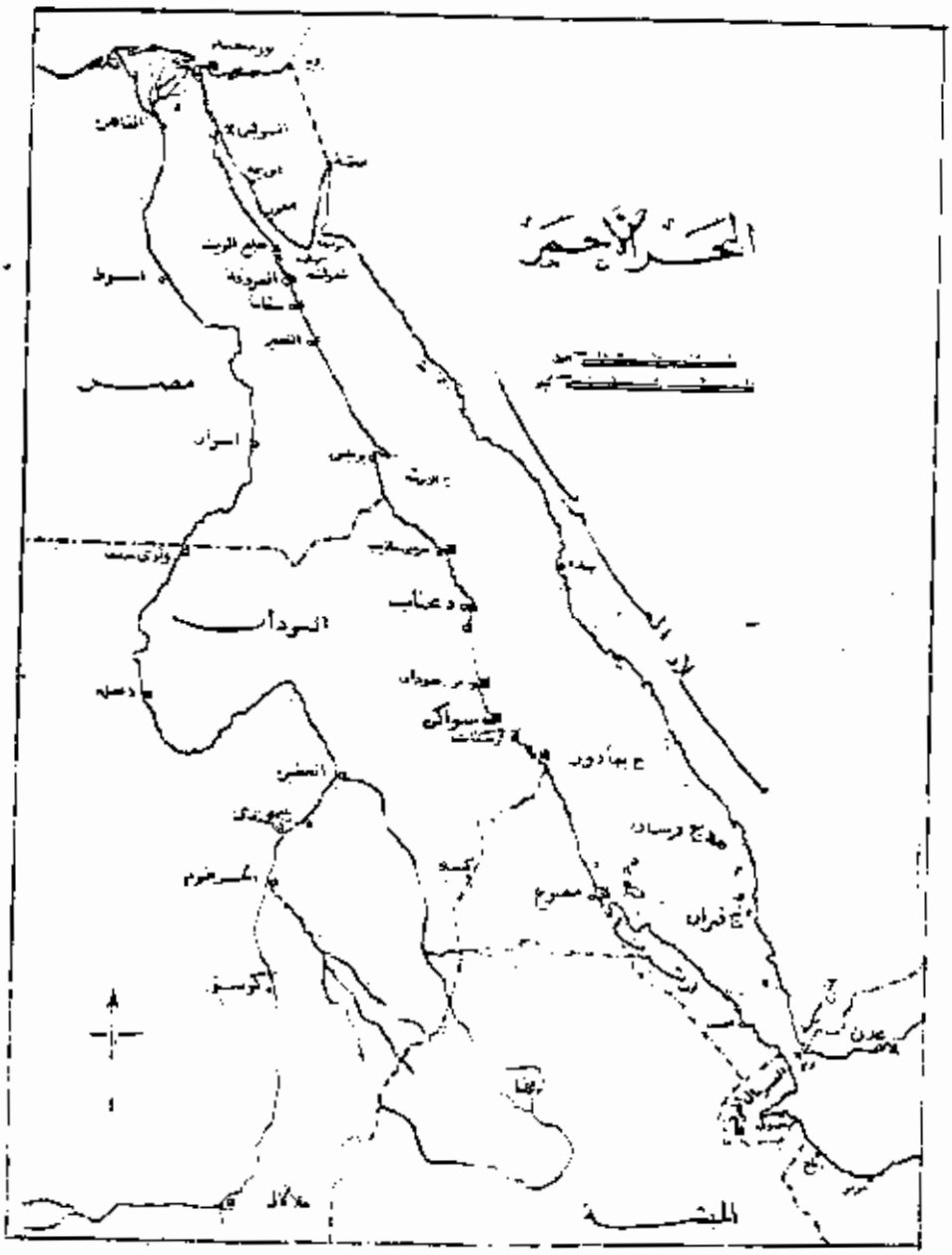
البحر الأحمر
مصر
السودان
سواكن
مصوع
عدن
الحبشة

# البحر الأحمر

## وأوصافهُ الجغرافية والحربية

للصاغ عبد الرحمن زكي
امين المتحف الحربي

تؤثر ثلاث مناطق هامة تأثيراً كبيراً من الناحية الاستراتيجية في قوة الأمبراطورية البريطانية ومقدرة أقسامها على التعاون . فالمنطقة الأولى تحيط بسواحل اسبانيا المطلة على المحيط الأطلنطي . والثانية سواحل الصين الجنوبية . والثالثة البلاد المطلة على البحر الأحمر الذي تزحم أمواجه الهادئة ما يزيد على ثمانمائة ميل من السواحل المصرية والسودانية . والبحر الأحمر ليس ميدان جديد من ميادين النشاط السياسي والحربي في الوقت الحاضر فانه منذ العصور القديمة كان مبدأ مصريًا ثم صار بحيرة رومانية فعربية . وظل كذلك الى أن حل العثمانيون محل المماليك المصريين بعد انتهاء دولة هؤلاء . ثم جاء دور المستعمرين الأوربيين من هولندة وبرتغاليين وفرنسيين

وحاول الفوز له محمد علي باشا أن يستولي على مناقذ البحر الأحمر الجنوبية وهي وراءها ولكن ذهبت محاولته هباء أمام البريطانيين . فاستولوا على عدن سنة ١٨٣٧ ليؤمنوا الطريق الى الهند [١] وأخيراً تسرب النفوذ الايطالي أيضاً الى هذا البحر . واستقر على سواحل ارتريه والصومال وبعض الجزر الصغيرة وصار يزاحم النفوذ البريطاني وينافسهُ في اليمن

يبدأ البحر الأحمر في الاتساع بعد خليجي السويس والعقبة . فالى الشمال الغربي منه شاطئه الأيمن المصرية والسودانية . والى الشرق بلاد العرب الواسعة . والى الجنوب تشرف عليه امبراطورية الحبشة بعد بقائها من كتبا الى روسيا والى جانب هذه الأمبراطورية تقع أفريقيا الشرقية الايطالية التي تألفت من بلادكانت مستقلة وهي اثيوبيا وأخرى كانت ترفرف عليها السيادة المصرية أهمها قبل الايطالية كارتريه والصومال الايطالي [٣]

---

(١) وافق محمد صاحب السيد الامير الجليل عمر صوسوري الخير على وثيقة تاريخية لفتح المغفور له محمد علي باشا عدن من العرب في خليج الفارسي . وهذه الوثيقة مؤرخة في ٢٠ جمادى الثاني سنة ١٢٥٣ [illegible] ١٨٣٧ [illegible] صدق أحمدي مولد الاخضاع عدن و تناطق اي مرهة وانة دهد من حكم تبي . وقد تم ذلك كما هو معروف وعلمت

(٢) كانت [illegible] حاضرة الدولة المصرية بعهم الميه مصوع الى سنة ١٨٨٣ . عندما سحبت الحكومة المصرية بعد سقوط الخرطوم باستقلال ريد أو مصوع و بلون فاحتلت مصوع في ٨ مارس ١٨٨١ .

ومن مجموع تلك الأقطار انشئت القلعة الأفريقية الايطالية الكبرى بجهد موسوليني

لم يعد البحر الأحمر طريقاً مائيًّا لهُ قيمته من الناحية العسكرية فحسب . . . بل أصبح في الواقع مركزاً لنطاق مجموعة من البلدان الشاسعة الخاضعة للحكم البريطاني أو لنفوذه . وهذه البلدان لا يمكن اسعافها بمقتضيات الموقف العسكري بعد ما طرأ على الأحوال السياسية من تحوُّل كبير إلاَّ بسيادته . فلم تعد اليابان أو ايطاليا أو اسبانيا في مجموعة الدول الصديقة لبريطانيا . وصار من الضروري استبقاء قوات عسكرية للدفاع عن الهند والملايو واستراليا لمقاومة أي تهديد توجهه اليابان او ايطاليا او روسيا الى تلك الأجزاء الهامة من الامبراطورية البريطانية

ويهمنا موقف إيطاليا بوجه خاص لاتصاله بالبحر الأحمر . فالمعروف ان لهذه الدولة في أفريقية الشرقية الايطالية ما يقرب من مائة الف جندي إيطالي ومائة وخمسين الفاً من القوات الوطنية بجانب جيش من العمال الايطاليين والسود . ومع هؤلاء المليشيا المؤلفة من ٢٢ أورطة من رجال القمصان السود . خمس منها في أديس أبابا وعشرون بلوكاً للمدافع الرشاشة وسبع بطاريات ضد الطائرات وبطارية لمدفعية السواحل في مصوع ومثلها في موجاديشيو . وجميعها مزودة بأحدث أسلحة القتال ولاسيما السلاح الجوي والمدفعية الثقيلة والدبابات . وهذه البلاد مجهزة بأحدث وسائل الدفاع المتبعة التي تطابق طبيعة الأراضي الوعرة . وقد جددت موانيء عصب ومصوَّع على ساحل البحر الأحمر وموجاديشيو المطلة على المحيط الهندي . وعمقت مياهها وجعلت مواقع حربية كبيرة كما حصنت الجزر المجاورة لها . وبالقرب من مصوع على خليج أنسلي الذي يبلغ عرضه نحو عشرة أميال وعمقه الى الداخل نحو ثلاثين ميلاً أعدَّت منطقة صالحة جدًّا لايواء الغواصات وحصنت المنطقة بمدافع ضخمة مثبتة على الساحل والجزر المتلاصقة وأهمها « دهالك »

إن الحرب الدائرة اليوم ستظهر نتائج الدور الذي تقوم به الغواصات الايطالية ضد السفن البريطانية المتجهة شرقاً او غرباً . ولا ريب في ان رجال البحرية الانكليزية يقدرون جميع الأحوال التي تتصل بمياه أساطيلهم . ولا سيما مياه الشرقين المتوسط والأدنى . وهم يعرفون تماماً مدى تأمين طريق الوقود الذي تتفه السفن الانكليزية من آبار الزيت الايرانية عن طريق الخليج الفارسي . لأنهُ إذا لم يؤمن هذا الطريق الحيوي لم تجد تلك السفن غير الطريق البري الممتد بين الخليج الفارسي والعراق عبر صحراء سوريا الى البحر الأبيض المتوسط

ولفرنسا في مياه البحر الأحمر جيبوتي وهي وإن كانت واقعة خارج مضيق البحر إلاَّ أنها تعتبر عاملاً فعالاً من الناحية البحرية . فهي لا تجعل استخدام البحر الأحمر أمراً مضموناً . ولكنها تستطيع أن تؤثر في حرية مرور السفن في المحيط الهندي . وأمام جيبوتي تقع جزيرة perim المحصنة بالمدافع البريطانية البعيدة المدى . وهي على بعد ميلين غربي الساحل الآسيوي واثنى عشر

ميلاً من الساحل الأفريقي وتستطيع أن تمنع كل محاولة الانتفاع بباب المندب وتجعل قاعدة الشيخ سعيد الفرنسية لا قيمة لها[1]

ومنطقة الشيخ سعيد التي في جنوب الغربي من شبه جزيرة العرب المشرفة على مضيق باب المندب منزلة حصينة لأنها تعلو مائتي متر عن سطح البحر. وتعتبر « جبل طارق فرنسا » ولذلك ارتفعت منزلة منطقة الشيخ سعيد بعد احتلال إيطاليا للحبشة. لأن هذا الاحتلال جعل لإيطاليا يداً في طريق الهند هذا. واحتلال فرنسا للشيخ سعيد عزز مكانتها في مضيق باب المندب الذي يبلغ عرضه ٢٥ كيلو متراً من الشاطئ الآسيوي الى الأفريقي أي بين الشيخ سعيد وجيبوتي[2]

وبالقرب من جيبوتي موقع ذو شأن عظيم يسمى « قمة الخراب » وهو يصلح قاعدة منيعة ومثابة أمينة للغواصات والطائرات البحرية وهذا الموقع جزيرة مستديرة طولها ١٢ ميلاً وعرضها خمسة أميال يصل اليها بواسطة خليج ضيق البحور مياهه عميقة وتستر أجنابه صخور مرتفعة من حجر طيري ذات رصيف صيني يمتد ١٤٠٠ ياردة ويتسع لرصيفين مثله. ولقد كانت إيطاليا على وشك وضع يدها على ذلك الموقع المنيع من الصومال الفرنسي عام ١٩٣٥ لولا امتناع إيطاليا عن تبادل وثائق إبرام الاتفاق ( اتفاق موسوليني — لافال )

وعدن اقليم وميناء على الساحل الجنوبي من بلاد العرب في شبه جزيرة صغيرة في مدخل البحر الاحمر. بنيت الميناء على موقع ركان خامد. وهناك صخور منحدرة تحيط بها مما جعلها أمنع من عقاب الجو. وتعتبر عدن مفتاح البحر الاحمر الجنوبي، مع انها غير صالحة لرسو السفن الكبيرة وذلك لتهديد القاذفات الايطالية التي تغير عليها من ميناء عصب. كما ان الدور الذي كان مفروضاً على الغربين الصغيرين زيلع وبربره ان يقوم به أصبح دوراً ثانوياً

( ثغور البحر الاحمر المصرية ) وقبل التكلم عن الثغور المصرية المطلة على هذا البحر نقول ان طبيعة الساحل الشواطئ المصرية جبلية بين جزيرة الأشرفي الى مصوع وكانت هذه الطبيعة تعتبر حاجزاً منيعاً لا يقتحمه عدو مغيراً الا نادراً ومن منافذ ضيقة ولكن مع ما طرأ من التحسين على وسائل النقل البحري والجوي في الايام الاخيرة قلت قيمة تلك العقبات الطبيعية التي حمت حدود مصر الشرقية الجنوبية منذ أجيال

ويشمل شاطئ البحر الاحمر موانئ وجزائر متعددة ذات مناعة طبيعية هذا منازلها

---

[1] [illegible] في البحر الاحمر بعد تسليم مرسى نهراً بحرياً ولا يمكن التدرع بها سيكون [illegible] من [illegible] من شاطئ الشواطئ البحرية في [illegible] لاسطول ايطالي

[2] بعد جيبوتي [illegible] الطريق [illegible] وهي تكاد تكون مكملة لاتي [illegible] الحبشة من الناحيتين [illegible] والسكة [illegible] وطائرات [illegible] في [illegible] ايطاليا [illegible] الى الجنوب الشرقي

الحربية . وأهم تلك الموانئ سنذكرها في كتب الجغرافية العسكرية بشيء قليل من التفصيل ونحن نستطيع هنا سوى ان نتكلم باختصار عن كل منها وهي : السويس . الغردقة . سفاجة . القصير . وأهم الموانئ السودانية بور سودان وسواكن . ومن الثغور مرسى ثلاث وبرنيس ومرسى حلايب . ثم ان ايطاليا تحتل على الساحل الغربي جزيرة ميناء الغرب

فالغرب من السويس تقع اكبر محطات تكرير البترول في افريقية . وهذه الميناء يعتبر محطة لتموين القوات البحرية والجوية القادمة الى الشرق والذاهبة منه

والى جنوب السويس على بعد ١٨٠ ميلاً نجد ميناء الغردقة وهو محصن تحصيناً طبيعياً يجعله صالحاً في وقت الحرب وموقعه في مفترق ثلاثة طرق مهمة . اولها الى السويس . وثانيها الى قنا . وثالثها الى سفاجة . وقد تكون الغردقة محطة هامة للبترول ومنها تميناً للعدو لتموينه بالزيت كما انها قاعدة طيران جيدة في منطقة البحر الأحمر[1] . ومما يعزز ما للغردقة من شأن وقوعها عند مدخل خليج السويس فالعدو الذي يستولي على هذا الموقع يتسلط على طريق المواصلات في خليج السويس بأساطيله وغواصاته ويهدد مديريات الوجه القبلي بسلاحه الجوي

﴿ سفاجة والقصير ﴾ ويقع ميناء سفاجة في سفح جبال شاهقة وهو محصن تحصيناً طبيعياً لا مثيل له في الموانئ المصرية ويبعد عن الغردقة جنوباً نحو ٤٥ ميلاً بحرياً . وتشرف على ميناءه جزيرة رملية تمتد ٤ ميل طولاً و ١ ميل عرضاً . وتصلح هذه الجزيرة لأن تكون موقعاً لمدفعية قوية بعيدة المرمى تحمي الميناء من جهة البحر في دائرة واسعة

تصلح سفاجة لأن تكون قاعدة بحرية عظيمة يأوي اليها أي أسطول مهما عظم شأنه وكذلك يصح أن تكون محطة هامة للطائرات البحرية . وقد يكون في الوسع جعل هذا الميناء أكبر موانئه المصرية في البحر الأحمر وعلى الأخص اذا اتصل بداخلية الوجه القبلي بعد شق الطرق منه واليه

وتقع القصير جنوبي سفاجة على نحو ٤٥ ميلاً بحرياً وهي ميناء مكشوف غير محصن تحصيناً طبيعياً ولا تصلح لأن تكون ميناء حربياً . ولكي تكون خطاً دفاعياً يحمي مديريات الوجه القبلي يجب ان توجد بها مدفعية قوية تحميها من الغزو البحري . وكانت القصير أهم الموانئ المصرية قبل الفتح العثماني على رأس الطريق المباشر لنقل البضائع التي ترد الى داخل القطر والموانئ الأوربية . واشتهرت كذلك إلى أن كشف طريق رأس الرجاء الصالح . وقد حاول نابليون انى ما لها من خطير الشأن الحربي في أثناء حملته على مصر . وكانت في أيام محمد علي باشا من الموانئ المحصنة ولكن بمجرد فتح قناة السويس فقدت ما بقي لها من شأن

﴿ موانئ شبه جزيرة سيناء ﴾ شبه جزيرة سيناء جزء من قارة آسيا يحدها

---

(١) تتبع الخطوط المنطقة موانئ البحر الاحمر من مقال عن جزيرة القطم بتوقيع [illegible] مستشار
٥ خوفس [illegible] ثم عاد وتوفي

من قناة السويس الى الخط الواصل بين رفح على شاطىء البحر الأبيض المتوسط وبين طابا بالقرب من رأس خليج العقبة . وأهم مدنها العريش والطور وكانت تحل في يوم من الأيام محل سيناء وهي اليوم نقطة سهلة . ثم أبو زنيمة .

تبعد أبو زنيمة خمسين ميلاً عن السويس وعلى مسافة ١١ ميلاً الى الجنوب الشرقي من جبل حمام فرعون وتحف بها مياه ضحلة مسافة ثلاثة أرباع الميل في اتجاه جنوبي . وهي مقر شركة تعدين سيناء لاستخراج المنجنيز . ويقابلها على الشاطىء الافريقي مرسى ثعيل ( Thelmei ) . وعلى مسافة ١٢٦ كيلو متراً من أبو زنيمة تقع الطور التي يطلق عليها مفتاح شبه جزيرة سيناء . وهي صالحة لأن تكون محطة للتموين البحري

كانت للطور مكانة تجارية عظيمة في أعمال التجارة الهندية وكانت مركزاً لورادات الشرق الأقصى وصادراته بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر . ولما كشف البرتغاليون طريق رأس الرجاء الصالح هبطت منزلة خليج السويس ( منذ القرن السادس عشر ) ثم عادت فارتفعت بعد فتح القناة [1] . وكانت بالطور قلعة ترى أطلالها الى اليوم هي متصلة بطريق عهد بميناء السويس

( خليج العقبة ) تكلمنا عن موانىء خليج السويس المصرية . ونتحدث الآن عن أهم ما في خليج العقبة من ثغور

تتمتع العقبة بميزتين جليتين جعلتا لها مقاماً ممتازاً . هما موقعها الحربي الحصين وموقعها التجاري الفذ . فهي من الوجهة الحربية تسيطر على الخليج المعروف باسمها سيطرة مطلقة تجعل الأمصون الراسي في ميناءها آمناً لأن هذا الخليج حصن طبيعي خصوصاً اذا أكمل الانسان عمل الطبيعة فزاد في تحصينه

والعقبة مفتاح شبه الجزيرة العربية اذا وقعت في أيدي العدو هددت بلاد العرب . ولا يقل موقع العقبة التجاري شأناً عن موقعها الحربي فهي واقعة على مفترق طرق مصر والعراق والجزيرة وعلى خليجي تلتي حدود الحجاز ومصر وفلسطين وشرق الأردن

وكانت العقبة منذ الحروب الصليبية منزلة حربية . وقد حاول أحد أمراء الصليبيين واسمه الفارس رجيناله دي شاتيون الاستيلاء عليها . فحاصرها وعد أسطولاً عوّل بواسطته على مهاجمة المدن المقدسة في الجزيرة العربية . وسرعان ما عاد فزاره والحر من العقبة بعد ما جهز حملته في الشام ودخل جدة واحتلها وسار منها الى مكة . غير ان القبائل المحاربة بين جدة ومكة لم تمكنه من تحقيق حلمه فسطت عليه وأثخنت في رجاله القتل واضطر فرجع مهزوماً الى الكرك

وقد رجعنا في تاريخ العقبة منذ العصور الوسطى وجدناها خضعت للسلطان المصري

(١) كتب عنها هدايت في الصحراء الشرقية وسيناء . انظر رحلات الجوهري ص ٨٦ — ٩٠

يؤيد ذلك قلعة القاعة الى اليوم وهي قلعة تحتفظ جدرانها باسم باب القلعة السلطان قنصوه الغوري. وتواجه العقبة ميناء طابه الصغيرة

(جزر البحر الأحمر) بالبحر الأحمر بعض الجزائر لا شأن كبير لها يمكنها حراس اعتبارات . ولا يعرف عنها اكثر مما ورد في تقارير البعثات العلمية التي أوفدتها جامعة فؤاد الأول لدراسة طبائع الحيوانات المرجانية والأعماق واتساقات البحرية . ولكن لا يفوتنا ان نقرر مكانة هذه الجزائر لاعتبارات عسكرية وأهمها : —

الأشرق وجوبال وشدوان وجفاطين وزبرجد ( سنت جون ) . وفي خليج العقبة ثلاث جزائر هي تيران وانسافر وفرعون. ويطلق على جزيرة شدوان «صخرة جبل طارق مصر» او جزيرة كلاب البحر وهي منيعة الموقع جبلية الطبيعة تقع في نهاية خليج السويس من الجنوب وتبعد ١٧ ميلاً عن الغردقة شرقاً . وتتوسط جوبال مدخل خليج السويس البالغ عرضه ١٢ ميلاً

ويبلغ طول الجزيرة ثمانية أميال وعرضها ميلين ونصف ميل في أوسع اجزائها . ويبلغ ارتفاع أعلى تلالها ٩٩٠ قدماً وتقطع تلالها وديان كثيرة وتحيط بالجزيرة شعب مرجانية . وهذه الجزيرة ذات موقع حصين تتحكم في طريق الملاحة الدولي بين الشرق والغرب

ولذلك لا يجهل احد خطر شأن موقعها للانتفاع به الى اقصى حد ممكن في حماية خليج السويس والدفاع عن قاعدة الغردقة . فاذا انتقلنا الى جزر جفاطين وهي خمس جزائر صغيرة وجدناها قاحلة . وهذه الجزائر تبعد عن جزيرة شدوان جنوباً مسافة تتفاوت بين ١٢ الى ١٧ ميلاً وتقع بعيدة عن الشاطىء المصري بمسافة سبعة أميال

وبالقرب من رأس بناس تقع جزيرة الزبرجد ( سنت جون ) وهي صغيرة مستديرة تتكون ترتفع سبعمائة قدم فوق سطح البحر ويتوسطها تل ركامي . وقد كانت الجزيرة في ايام الناصية مشهورة بزبرجدها ولكن ساعت أهميتها خلال المائة عام الاخيرة

(جزر خليج العقبة) يمتد خليج العقبة ٩٦ ميلاً ويختلف عرضه من ٧ الى ١٥ ميلا وتشرف على شاطئه جبال جرداء شاهقة . وتهب عليه رياح عاصفة شديدة في معظم اوقات السنة فتتعذر الملاحة الشراعية فيه . وتكاد تسد مدخل الخليج جزيرة تيران التي تمتد الى الشاطىء الأسيوي بسلسلة من الشعاب المرجانية . وهي تبعد مسافة اربعة أميال عن شاطىء شبه جزيرة سيناء

تمتد جزيرة تيران سبعة أو ثمانية أميال طولاً وخمسة عرضاً . وتقع في منتصف ساحلها الجنوبي اعلى قمة في الجزيرة يبلغ ارتفاعها سبعمائة قدم . اما الجزيرة فمعظمها رملي . تتحكم هذه الجزيرة في مدخل خليج العقبة . ولذلك تعتبر مهمة جداً من وجهة الدفاع السعودية . تتناولها

على الساحل المصري نقطة لا تقل عنها شأناً من الناحية العسكرية وهي منطقة رأس بناس التي تبعد عنها ميلين . وهناك جزيرة الشدوان التي تبعد ميلين شرقي تيران . وهي جزيرة كبيرة مستديرة الشكل وفيها مرسى طيب ترسو السفن لأنه في مأمن من الرياح الشديدة . وعلى مقربة من شدوان جزيرتا شوشه وبرقان

وعلى بعد ثمانية اميال من العقبة تقع جزيرة فرعون ويبلغ محيطها نحو الف متر وهي مؤلفة من اكمتين صغيرتين بينهما فرجة ضيقة . وعلى قمتي الاكمتين خرائب حصن قديم لم يبق منه سوى صهريج ماء ومخزن للغلال والذخيرة ومساكن للجند

﴿ البحر الأحمر والامبراطورية ﴾ ان قناة السويس وباب المندب مفتاحا هذا البحر الذي يعتبر مبدانياً من أهم ميادين النضال بين بريطانيا ودولتي المحور . وقد علمنا في مقال سابق منزلة قناة السويس في بناء جامعة الأمم البريطانية[1] ويعتبر باب المندب باباً حصيناً لصاحبه السيطرة على الداخل الى البحر الأحمر والخارج منه . والمسيطر عليه يقبض بيده على أهم خطوط المواصلات الأورية الى الشرق

لقد عنيت بريطانيا منذ عام ١٩٣٧ بعد اتمام خضوع الحبشة لايطاليا واهتمامها بمشاكل عصب ومصوع ، بتحصين سواحل بوغاز باب المندب تحصيناً قوياً حديثاً لمنع كل قوة بحرية معادية من الوصول الى المحيط الهندي مارة بهذا البوغاز اذا اقتضت الحرب ذلك وتحاصر وتقضي على أية قوة بحرية معادية يمكن أن تفلت من رقابة حصون البوغاز لتدخل البحر الأحمر . والاحتفاظ بهذه السيطرة معناه استمرار السيادة البحرية لبريطانيا وحدها فقط في هذه المياه الأسيوية الأفريقية وقد رأينا بعد اشتراك ايطاليا في الحرب القائمة كيف أصبحت سفنها الحربية سجينة هذا البحر حتى بعد انسحاب بريطانيا من الصومال وإخلائه من قواتها العسكرية[2] وسواء أكان البحر الاحمر مكملاً للبحر الأبيض المتوسط ام مستقلاً بمياهه فانه يعتبر شرياناً حيوياً للامبراطورية التي يسود نفوذها في الشرقين الأدنى والأوسط

---

(١) راجع عدد المقتطف لشهر نوفمبر ١٩٣٩

(٢) انسحاب الجيش البريطاني أعقبه تأجير الامبراطورية بالقسيه في وجود عدن وجزيرة سوقطرة وبربرة وغيرها من مناطق نفوذ الانجليزي بين المحيط الهندي والسويس . ولكنه تقول ان الصومال البريطاني كان عدن ساحل بربره ... فرأى مصرية أعربت الى الامبراطور ... بالعربية ... في جنوبي ... سنة ١٩٢٢ ... ١٨٧٥ ... بعد فتح الغالة ... قدين هرر وقد ... صحيت الجنود المصرية ... في بربرة ... سنة ١٨٨٤ ... صدور الامر بخلاء السودان ... الى بربرة ، وهذه الاخيرة ... الحبشة ... اسماعيل ... على الحفظ المصري ... ثم ... الى ... سنة ١٨٨٤ ... بالمحافظة ... بالتكنات ... ثم ... المندب ... من ... بعيدة فكانت ... ( راجع ... الاخبار الامبراطورية ... ص ٨٩ — ٩٠ )

# عبرة السنة الاولى

## من الحرب (١)

في الساعة الثامنة والدقيقة الخمسين من مساء الخميس الموافق السابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٣٩ جلست أمام هذا المذياع . كان أسبوع كامل قد انقضى على بدء اجتياح المانيا بولونيا وأربعة أيام على اعلان بريطانيا وفرنسا الحرب على المانيا . فقلت في استهلال حديثي في ذلك المساء : في هذه الحرب يلتحم تياران متعارضان من تيارات الاجتماع البشري . أحدهما هو التابع من القول بأن للانسان قيمة في ذاته . وان الاجتماع البشري لم يبلغ ما بلغه من مراتب الارتقاء الا باطلاق الحرية لفرد يفكر ويستنبط ويستكشف ويعثر ثم ينهض من عثرته ويخطىء ثم يصحح خطأه بالتجربة والامتحان . كذلك نشأ كبار الفلاسفة والشعراء والعلماء والرواد وكذلك ردوا آفاق الجهل وهاجموا معاقل أسرار الطبيعة وفتحوا بعضها فخلقوا بالانسانية رويداً رويداً فوق المستوى الحيواني الوضيع ، كما تحلق الطائرة فوق أطباق الغمام القاتم . هذا التيار العظيم السائر بالانسان من الاستبداد للطبيعة والخرافة والطغيان نحو الحرية والكرامة هو خلاصة تراث الانسانية من خمسة آلاف سنة من التاريخ المدوّن الى يومنا هذا

وأما التيار الآخر فهو التابع من القول بأن هذا الهيكل البشري آلة عمياء ، وياليتهُ آلة تامة . فانه في عرف أصحاب هذه الفلسفة الاجتماعية ليس الانسان في ترس في آلة عمياء يديرها طاغية متحكم لا حد لشهوته وتحكمه . واستشهدت بقول الرئيس روزفلت من خطبة له قال : عندما تنكر كرامة الروح الانسانية في بلدان كثيرة وعندما يجعل ذلك الانكار شعاراً لدعاية تتحرك بمقتضاها الجيوش . لا يسع أحداً الاطمئنان الى ان سلامة بلاده أو سلامة داره مضمونة . وبقول لورد ديلاوار : ان هذا التحدي يعد غوراً من مسائل سياسة القوة . انه يرد جميع الافكار والمذاهب التي قامت عليها الحضارة الى الوقوف موقف الدفاع

وقد دار الزمن دورة كاملة منذ دعت ذلك الحديث . فانقضت سنة كاملة على نشوب الحرب ، وها أنذا أجلس مرة أخرى أمام المذياع نفسه ، لألخص حوادث العالم في أسبوع

جميع هذه الحوادث يصغر شأنها — وبعضها كالاتفاق البريطاني الاميركي عظيم الشأن — بالقياس الى ذكرى انقضاء السنة الاولى ، على صرح جبارة دارت بين نوعين من الحضارة ، وعلى مصيره يتوقف مستقبل الانسانية مدى ألف سنة من التاريخ . فاذا اختار نوع الحضارة الذي تؤمن به — على ما فيه من نقائص ومساوىء يجب اصلاحها — عادت الانسانية مدى ألف سنة الى الوراء

---

(١) محاضرة ألقاها في مجلس تحرير مجلة الشؤون الخارجية الامريكية بمكاتب مجلة الشؤون الخارجية في نيويورك في ٨ سبتمبر ١٩٤٠

وما هو لباب هذه الحضارة التي نؤمن بها ؟ ليس لبابها تقدمها المادي الصناعي مع أننا نبهر به . ولا ثروتها التي أفضت بها الى الاستعمار . فالثروة بحد ذاتها محتقرة والاستعمار ممقوت . ولكن لبابها هو خلاصة التراث الذي خلفته لها صفوة من القرون بنية على ما سبقها في رفع شأن الانسان واعزاز كرامته . وفي مقدمتها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية

كان نصيب فرنسا الكبرى في بناء هذه الحضارة وتنشئة روحها الاصلية ، وليد مفكريها الأحرار في القرن الثامن عشر وثورتها الكبرى في اواخره . ولباب هذا النصيب تأييدها لتعامل الانساني من شأن عظيم في بناء الحضارة والايمان بالنقل والاصرار على ان للانسان المفكر كرامة في ذاته . وليس هذا بالشيء الجديد في التاريخ . فقد سبقت الحضارة الاسلامية العربية اليه عندما كانت في إبان عزها فبهرت العالم والتاريخ بعلومها وفنونها ، وهي وليدة هذه الروح العالي . ولكن سبعة قرون او ثمانية انقضت قبل ان استكشف مفكرو فرنسا هذه الحقائق الأساسية مرة ثانية ، وجعلوها عناصر أساسية في نظام فلسفي ، ثم تمكنوا عن طريق الثورة الكبرى من جعلها أركان النظام السياسي الاجتماعي

ولا يقل نصيب بريطانيا عن نصيب فرنسا في بناء هذا الصرح الفخم . فبريطانيا ابتدعت فكرة الاعتماد المالي ( Credit ) وجعلت أساسهُ الثقة بكلمة المتعاقدين واكتفى الاستناد الى قول الرجل المستقيم . ثم أنها كانت الدولة الأولى التي أدركت ان السلطان السياسي ينطوي على شيء أهم من مجرد التعبير عن مصالح الجماعة المشتركة ، ووضعت ادراكها موضع التنفيذ ، وفهمت ان السلطان والحرية غير متنافيين ، وأن في وسع الانسان التمتع بالحرية بغير ان تنشر الفوضى ، وان الحكومة تستطيع ان تمارس السلطة بغير ان يتم الاستبداد ، أي ان بريطانيا ابتدعت مذهب الأحرار في الدولة والاقتصاد وتقدمت به بمقتضاها الى صرح الحضارة

أما الولايات المتحدة الاميركية فلم يكن نصيبها الأهم في نظري ، عظمة تقدمها المادي وسعة اطلاقه . بل كان نضال الشعب الاميركي نضالاً متواصلاً ، عم لا على الجبهة من النزعة الكمالية ، في سبيل تعزيز كرامة الفرد ورفع مستوى معيشته . فالولايات المتحدة ما فتئت تسعى الى الاصلاح الانساني بسعيها الى جعل الفرد أصح أبدانا وأجود فوتا وأوفر فرصاً وأوثق رياضة والمتعة الروحية والعقلية . فالولايات المتحدة هي بلاد الارتقاء الاجتماعي . ويبدو مآثرها الكثيرة ، يلوح لي ان مأثرة الاهتمام بالارتقاء الاجتماعي هي المأثرة التي يجب ان نذكره عندما نذكر بلاد فرانكلين وتشكن وفورد في بناء الحضارة الحديثة

وكيفما قلبنا النظر في هذه الموضوعات نجد ان مادتها نفسها مفرغة في قالب متباينة فنجد أولاً الفكرة الأساسية التي فحواها ان الفرد الانساني غاية في حد ذاته وليس مجرد آلة

أو أداة تحركها قوة طاغية ، لتحقيق هذا الغرض أو ذاك . فالفرد الانساني ، بصرف وقطع هذه الفكرة ، شيء غريباً تجرد أنه فرد انساني . ثم نستخرج من هذه الفكرة الأصيلة ، القول بوجوب منح هذا الفرد بعض حريات أساسية — تبكي يتاح له النمو العقلي والروحي المتسق — أن تطلق له الحرية ليزن الأمور ويحكم عليها بنفسه ، وأن يناقش ويبحث ، وأن يعرب عن رأيه . فالحريات المدنية والدينية ، هي روح الحضارة الحديثة ، هي لبابها ، لا المخترعات ولا المكتشفات العلمية ، وتطبيقاتها الصناعية . لان المخترعات والمكتشفات وتطبيقاتها لم تنبع إلا من الاعتراف بكرامة العقل وحرية الانسان

فروح الحضارة الحديثة الذي يؤمن به ، حر مطلق كالجدول او كالنسمة . وهذا الروح لا بد أن يموت عندما تتخلى الحضارة عن هذه الحريات ، لأنها جزء لا غنى عنه من الهواء الذي تتنفس . عند ذلك تجمد المواهب المولدة المبدعة التي رفعت تلك الحضارة الى ذرى العظمة العلمية والصناعية وتعدو وكأنها جهاز كبير محركه او جسم فقد روحه وسر الحياة فيه

ولكن ماذا يحدث اذا سيطر على العالم ، على الاجتماع البشري ، سلطان يستمد وحيه من مبدأ «الزعامة المطلقة» وهو الكلية الشاملة — وهما ركنا النازية والفاشية ؟ وليس هذا السؤال في منزلة الفرض او الوهم . فالمانيا وحليفتها — أو قل المانيا وحدها — تحارب لتفوز بهذا السلطان . وليس بين الكتاب الذين عرفوا بأصالة الرأي ، وتتبعوا بشوء الخطة النازية ، وتكشفها ، من يشك في أن حدود تلك الخطة لا تنحصر في اوربا وحدها

ليس ثمة ريب في ان عالماً تسيطر عليه المانيا النازية ، وتشرف على تنظيمه ، سيختلف اختلافاً بيناً اساسياً ، عن نظام العالم الذي ألفه البشر في القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين ، وهو النظام الذي كان يستمد وحيه ، أو بدأ يستمد وحيه ، ويبشر قواعده على أساس المبادىء التي نقدم ذكرها ، وهي الاعتراف بكرامة الفرد ، واحترام العقل ، وبناء معاملات الناس على الثقة ، والتمتع بالحرية بغير قوضى ، وممارسة السلطة بغير استبداد ، والسعي الى رفع كرامة الفرد ومستوى معيشته

ليست الشك في أن المانيا تتمتع السيادة الالمانية بكفاءتها المعروفة ، وتطبق فيه الأساليب الصناعية الالمانية الحديثة ، وهي المحكمة بزداد فيه الانتاج ازدياداً عظيماً . وليس بين الذين تتمنى ارتقاء المانيا الصناعي من يحب ان يحرم القرن التاسع عشر الا واستوقف نظره وملك اعجابه ، مشهد الكفاءة في التنظيم الذي تعتمد في قارة واحدة وموجهة الى غرض واحد . ثم اني أعلم ان الحرية ناحية مساوىء عندما تطلق الحرية للفرد ليعمل وفقاً لغريزته واستجابة لحوافزه الخاصة ، يجنح مهما يكن ، الى ناحية الأضرار . ولكن في ظل هذا النظام الالماني ، ستتنظم

كل حركة وكل سكنة من حركات كل فرد وسكناته ، لخدمة غرض واحد ، ولن يسمح لأحد بأن ينفق ذرة من نشاطه وجهده الا في سبيل ذلك الهدف . ان صورة العالم في ظل نظام كهذا لتبعث على الاعجاب ، لو لم تكن الصورة تحتوي على موطن ضعف فيها

ذلك أن تحقيق هذه الصورة يقتضي من البشرية ثمناً فادحاً . وهو التجاوز عن كل شيء له صلة بالحياة الحرة القائمة على أساس احترام الفرد وعقله وشخصيته . فجميع وجوه النشاط الانساني ، في عالم كالعالم الذي وصفت ، معبأة تعبئة عسكرية موجهة في قناة واحدة ضيقة ، نحو هدف واحد . فصورة البشرية الحرة التي يتساوى فيها الناس في الاحترام الواجب لهم لأنهم بشر ثم يتفاوت هذا الاحترام وفقاً لتباين المواهب والنجاح في استخدامها ، تتلاشى وتنهار ، وتحل محلها صورة البشرية مقيدة بقيد حديدي ثقيل ، صورة الناس ومصائرهم في أيدي فئة قليلة من «المتفوقين» أو من الذين يحسبون انفسهم متفوقين ، فيستعبدون الجماهير لأن هذه الجماهير خلقت في نظرهم من جبلة أدنى وأحقر من جبلة الأسياد

هذا النظام يفضي حتماً الى زيادة الانتاج ولكنه يشل افكار مثل انسانية عالية هي لباب الحضارة كما فهمها . وهل الهدف مما يستحق هذه التضحية العظيمة في سبيله

يؤخذ من أقوال الذين نفذوا الى حقيقة الاهداف البعيدة التي يتوخاها زعيم الوطنية الاشتراكية ، ومن بعض الأعمال التي تمت حتى الآن في البلدان التي أخضعت بالقوة أو بالتهديد بها في أوربا ، ان النظام الاجتماعي الذي ينتظر فرضه على العالم هو نظام هرمي الشكل . فقد قال الفوهرر للهرمن روشنج إنهُ لا يعرف حضارة تستطيع ان تقوم على غير أساس العبودية واذن يجب ابداع اشكال جديدة من العبودية . فقد كانت الشعوب المتغلبة وأسرى الحرب عبيداً لقاتحين منذ العصور الأولى . أما في المستقبل فالقوميات المتغلبة على أمرها يجب أن تكون الطبقة السفلى في الاجتماع الوطني الاشتراكي وعلى عواتقها تقع مهمة القيام بالاعمال الزراعية والصناعية التي لا تحتاج الى اتقان فني . ولا يكون لها حقوق ما . وفوق طبقة هؤلاء تكون طبقة الأجانبيين وحلفائهم ومنهم يؤخذ العمال المتقنون والمديرون وموظفو الحكومات . وفوق هؤلاء تقوم طبقة خاصة من أعضاء الحزب الوطني الاشتراكي ، ومنهم يجند جيش الثورة . وعلى قمة هذا الهرم الانساني تقوم طبقة الاشراف الجدد ، طبقة النخبة الوطنية الاشتراكية وهي طبقة الحكام المتمتعين بالحرية المطلقة واحتكار السلطان — هذه هي طبقة الأسياد

هذا هو الهدف البعيد . والكفاية في سبيل تحقيقه يجب ان تقاس بمقياسه . فالكفاية ليست بحد ذاتها هدفاً اجتماعياً أعلى يطلب لذاته . وانما هي وسيلة الى غاية . وخير عند ما نحققها وتخلق بحدها أحسن وأفضل طريق الى تحقيق رغبة .

فالكفاية بمقياس نفيسة الاسلوب وليست بحال من مقياس نفيسة الهدف . فقد تتوسل بكفاية ممتازة الى تحقيق هدف سافل ، والهدف الأعلى الذي تسعى اليه الانسانية والدولة كذلك ، ما نفيه منذ ما كتب افلاطون جمهوريته ، المدن الاجتماعي . فالكفاية مهما تبلغ من الاحكام والاتقان لا يسوغها مسوغ في ان تكون ، اذا كانت وسيلة الى هدف غير عادل

وأظن ، بل أوقن ، ان نظرية « الأسياد الجدد » لا يمكن ان تعتبر خطراً اجتماعياً عادلاً للانسانية . واذن يجب ان يرفض الهدف وكفاية الوسائل المستعملة في سبيل تحقيقه

وهذا لا يعني ان النظام النقيض لنظام « الأسياد » منزه عن كل خطر ، وان الاجتماع الذي يبني في ظله حال من كل فساد كلاً . وانما يعني ان هذا النظام ينطوي — بحسب المبادىء التي هي روحه ولبابه — على امكان الاصلاح ، واذن فهو ينطوي على مثل أعلى تتطلع اليه الانسانية وتسعى جهدها الى تحقيقه متعثرة ، مضطربة ولكنها ابداً ساعية فترجيح تيمي وعيناها في السماء

وكذلك نرون انه وقد انقضت سنة كاملة منذ نشبت هذه الحرب الطاحنة بدأ يتضح لنا ، ان العالم واقف بين حضارتين كلتاهما تطلب الزعامة العالمية لروحها . وعلى العالم ان يختار

والمسألة بهذا الوضع ، ليست مسألة اوربية فحسب ، بل هي تهم جميع الأمم التي خارج اوربا كذلك . وعلى وجه خاص الولايات المتحدة الأميركية ، لأنها بيت حياتها الخاصة والعامة ، على مبدأ كرامة الفرد ، واحترام العقل ، واقامة الميزان بين الحرية والسلطان ، بين حق الفرد والواجب عليه . ولذلك فهي مسألة عالية النطاق ، وبهذا التفسير يخرج الصراع الدائر الرحى الآن من نطاقه الأوربي الى نطاقه العالمي

وليس أدل على صحة هذا القول الأخير ، من عقد الاتفاق البريطاني الأميركي ، وهو أهم حوادث الاسبوع الماضي ، ولعله من أهم حوادث الحرب حتى الآن . اما ينطوي عليه من تأثير مباشر ومغزى بعيد . اما تأثيره المباشر فتعزيز الاسطول البريطاني بخمسين مدمرة اميركية ، واما دلالته فهي ان الشعب الأميركي ليس واقفاً بمعزل عن هذا الصراع العالمي ، وأما مغزاه البعيد فهو حسبان هذا الاتفاق خطوة أولى نحو نوع من الاندماج الديمقراطي هو أمل العالم بعد الحرب . وقد أشار المستر تشرشل في خطبته الأخيرة الجامعة الى هذا فقال : « ولا ريب في ان هذا العمل يعني ان هاتين الدمقراطيتين العظيمتين عليهما ان تتمرنا وتشتركا قليلاً في بعض شؤونهما وذلك لمصلحة الفريقين ولمصلحة العامة » ثم قال : « انه لا ينظر الى هذا العمل بشيء من الريب او الحرج . وليس في وسعه ان يفقه لو شاء ذلك . وليس في قدرة أحد ان يفقه . انه كثير للسيسي يعني في حريته . فيحرم ليثأر لاخراً مندفعاً الى ان يبلغ مرجوه أظفر وأياماً أزهر »

واذا كان في هذا الاشتراك والاندماج نواة لاشتراك أوسع واندماج أعم ، فعلينا لا نخسر السلم مرة أخرى بعد كسب الحرب

مجلة المقتطف

# البستاني

للشاعر الفيلسوف الهندي رابندرانات طاغور

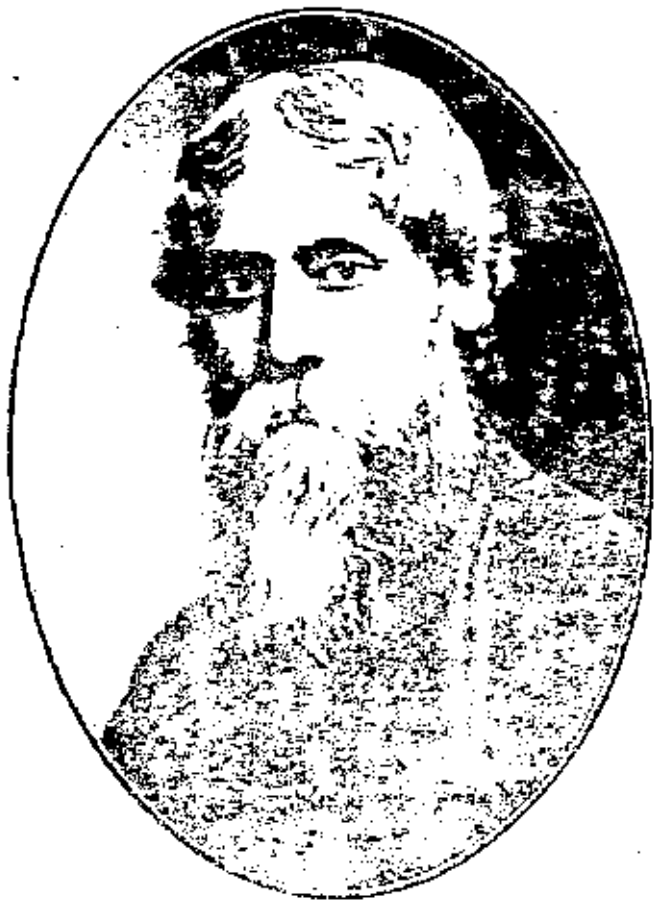

نقلها الى العربية كامل محمود حبيب

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أناشيد ( البستاني ) أقدمها بين يدي قارئي العزيز ، وهي أناشيد غزلية كتبها طاغور بالهندية وترجمها هو الى الانكليزية، فيها رقة النسيم العليل، وابتسامة الفجر الضاحك، وحلاوة الأمل الباسم، وهي خمس وثمانون نبضة من نبضات قلب شاعر سما بقلبه وعقله معاً فوق الانسانية ليهبط عليها بوحي من نفسه الشاعرة الرقيقة

وهي تجمع بين الغزل الرقيق الخلاب الذي لم ترَ مثله في العربية ، وبين الفلسفة الصوفية العميقة التي كشفت عن روح الشرق السامية . فها هي ذي أنشرها بين يدي القارىء الكريم علَّهُ يجد فيها لذة استشعرتُها كالجان النضر بين سطورها

والله أسأل أن يوفقني ... آمين

أمل

# البستانى

## للشاعر الفيلسوف طاغور

— ١ —

الخادم — يا مليكتي ، أسبغي على خادمك بعض فضلك !

الملكة — لقد انقضى السامر وتفرّق الخدم ، فلماذا جئت وقد انتزع عقد الليل ؟

الخادم — حين تخلو مليكتي إلى نفسها ، أبتغي أنا إليها الوسيلة

لقد جئت أسألك ما ادخرت لخادمك من عمل

الملكة — وماذا تبتغي في هذه الساعة المتأخرة من الليل ؟

الخادم — مُري فأكون بستانيّ حديقة أزهارك

الملكة — يا للحمق !

الخادم — سأنهض عن نفسي كل عمل سوى هذا

سأتي بسيني وبحبي جانباً . لا تقذفي بي إلى غيابة قصورك النائية ، ولا تدفعي بي إلى ميدان القتال ، ولكن مُري فأكون بستانيّ حديقة أزهارك

الملكة — وماذا تريد أن تعمل هناك ؟

الخادم — سأقوم على خدمتك في أيام فراغك

وأتعهد حشائش الطريق لتظل خضراء ناضرة . الطريق الذي تجتازين كل صباح ، حيث الأزهار التي تسير الهوينا في طريق الفناء ، تحيي قدميك عند كل خطوة في ولاء

وأرجيح بين الأرجوحة بين غصون دوحة السانيرتان حيث تزاحم أشعة

الغير — عند الفسق — خلال أوراق الشجر لتفل ذين يرطك
ثم أترع مصابيح مراشك بالزيت العطر، وأنثر على موطىء قدميك الصندل
والزعفران في دقة واتقان

الملكة — وما تنتظر من أجر؟

الخادم — أجري أن تأذني فأمسك يديك وكأنهما زهرتان ناضرتان من زهرات
النرجس، فأزين معصمهما بسوارين من زهر، وأصبغ أخمص قدميك
بمصير زهرة (الأشوكا) الأحمر، ثم أنفض عنهما ما عساه أن يعلق بهما
من ذرات التراب

الملكة — لقد أجبت سؤلك، يا خادمي، فاذهب فأنت الآن بستاني حديقة أزهاري

— ٢ —

«آه، أيها الشاعر، إن الماء يقبل في أناة، والشيب يدب في شعراتك»

«أفتسمع من خلال تأملاتك رأنت في خلوتك رسالة الغيب؟»

قال الشاعر «حقاً، إنه الليل، وأنا جالس أتسمع لأن صوتاً سيرتفع
— في جوف الليل — من جانب القرية»

«وأنا أرقب القلوب الشابة وهي تلاقي بعد تيه، ونظرات الهوى وهي تنطلق
تطلب الموسيقى لتصدع السكون من حوانيها وتتحدث اليهما»

«من ذا يستطيع أن ينسج أغانيها المتأججة على منوالها، إن أنا انزويت على
شاطىء الحياة لا أستشعر في نفسي سوى الموت والحياة الأخرى؟»

«لقد توارى أون مجير يزغ عند الغروب»

«ووميض نار الموتى [1] إلى جانب النهر الهادىء يخمد رويداً رويداً»

«وعواء أبناء آوى يرتفع من جنبات الغزل الموحش في ضوء القمر الشاحب»

«ذا تلبثت مسافر هنا قليلاً ليرقب الليل، وأطرق حيناً ليملأ مسمعيه من
هيهة الظلماء، فمن ذا الذي يمسك في أذنيه أسرار الحياة إن أوصدت باب
من دونه لأتحلل من قيود الإنسانية؟»

«إنها لخرافة أن يدب الشيب في شعراتي»

[1] الموتى هي من تشعث عند الهنود بحرقها فيما مضى وتأليههم وتقديسهم

« إني دائماً شاب كأصغر شباب القرية ، وشيخ كأكبر شيوخها »

« بعض الناس ترتسم على شفاههم ابتسامة عذبة رقيقة ، والبعض يشعّ من نظراتهم الخبث »

« بعض تترقرق العبرات في أعينهم في وضح النهار، والبعض يسدلون على دموعهم ستراً من غطش الليل »

« كل أولئك في حاجة شديدة إليّ ، فأنا لا أجد متنفساً من عمري لأفكر في الحياة الآخرة »

« إني أعيش مع كل أولئك ، فماذا يضيرني إن دبّ الشيب في شعراتي »

— ٣ —

عند الصباح طرحت شبكتي في البحر

ثم جذبتها من الهوة المظلمة فألفيت فيها أشياء ذوات بهجة وجمال . بعض يشع كالابتسامة ، وبعض يلمع كالعبرة ، وبعض يتألق كأنه خد عروس

وعدت الى داري أحمل ثقل يومي ، فاذا التي أحب جالسة في الحديقة تعبث بأوراق زهرة

فتردّدت حيناً ، ثم نثرت عند قدميها كل ما حملت ، ووقفت بأزائها صامتاً ولفتت هي إلى أشيائي ثم قالت : « ما أعجب ما أرى ؟ ماذا يفيد كل هذا ؟ »

فأطرقت مليّاً من خجل ، وطاف بخاطري « أني لم أجهد نفسي في سبيل هذا ، ولم أدخر له ثمناً . إن كل هذا لا يستأهل أن يكون هديتي اليها »

ومضى الليل إلاّ أنه وأنا أقذف بها جميعاً — واحدة فواحدة — الى الطريق وحين أسفر الصبح جاء السائحون أرسالاً . فالتقطوا كل ما قذفت به وحملوه الى بلاد نائية

— ٤ —

ويلي ! ماذا دهاهم فشيدوا داري على الطريق الى سوق المدينة ؟

يد ان أرقبهم ترسو — وهي مثقلة بما تحمل — الى جانب شجراني

ثم هم يغدون ويروحون ويضطربون في غير رقبة

وأنا جالس أرقبهم والزمان يمر بثقل
فلا أستطيع لهم دفعاً . وهكذا تنقضي أيامي

* * *

إن وقع أقدامهم يرن — صباح مساء — بأذني بي
وعبثاً أصيح : « أنا لا أعرفكم »
وبعضهم تعرفه أناملي ، والبعض تتشاءم أنني ، وإنهُ ليخيّل إليَّ أن دم عروقي المتدفق يعرفهم ، البعض يبدو لي في أحلامي
وحين لا أستطيع لهم دفعاً ، أناديهم « تعالوا إلى داري أني شئتم . نعم ، تعالوا »

* * *

عندما يتنفس الصبح تدوّي دقات النواقيس في جنبات المعبد
فيقبلون وفي أيديهم سلالهم
وأقدامهم مخضبة بالأحمر الوردي ، وعلى وجوههم شعاع الفجر الندي
وحين لا أستطيع لهم دفعاً ، أناديهم « تعالوا الى حديقتي واجمعوا ما شئتم من زهر ، تعالوا اليَّ »

* * *

وفي كبد النهار يتصاعد صوت الطبل لدى باب القصر
ولست أدري لماذا ينصرفون عن عملهم ليضربوا بأوتاء أسوار داري
إن الزهرات التي تزيّن شعورهم ذابلة ذاوية ، والنغمات تتصاعد من مزاميرهم واهنة
وحين لا أستطيع لهم دفعاً ، أناديهم « تعالوا يا صحابتي ، فاظل تحت شجراتي وارف ظليل »

* * *

وفي هجعة الليل يعلو صدى صوت صرار الليل في أرجاء الغابة
من ذا الذي هنا في أناة يطرق بابي في رفق ؟
لم استطع أن أشت وجهه ، وهو لم ينطق بكلمة ، ومن حوالينا السماء ساكنة
وحين لم أستطع دفع ضيفي الصامت ، رحت أحدق في وجهه من خلال الظلام ، ثم مجلت ساعات أحلامي

— ٥ —

أنا لا أجد القرار لاني أستشعر التطلع إلى ما وراء الحجب
وروحي تحلّق لتلمس ذيول الغيب
يا إلهي ، ما أشد نغم نايك !
إني أنسى — أنسى دائماً — أني لا أجد جناحين فأطير ، وأني موثق أبداً إلى هذه الناحية
إن في نفسي الشوق واليقظة معاً ، وأنا غريب نزل أرضاً غريبة
إن أغانيك ترف عليّ لتهمس في أذنيّ بالامل البعيد
وكلماتك تهبط على قلبي واضحة كأنها بعض لغته
يا من لا أجد السبيل اليه ، ما أشد نغم نايك !
إني أنسى — أنسى دائماً — أني أجهل الطريق اليك ، وأني لا أجد الفرس المجنح

* * *

إن فيّ الفتور ، وقلبي ما ينفك يتخبط في تيهاء
في ساعات الخمود ، حين تمتد السحب ستراً منها على أشعة الشمس ، كيف يتراءى شخصك اللانهائي في زرقة السماء
أيها اللانهائي ، ما أشد نغم نايك !
إني أنسى — أنسى دائماً — أن أبواب داري التي أسكن موصدة عليّ وحدي

— ٦ —

لقد كان الطائر السجين في قفصه ، والطائر الطليق في الغابة
وعلى حين غرة حمت بينهما يد القدر
فصاح الطائر الطليق « تعال نطر معاً الى الغابة ، يا حبيبي »
وهمس الطائر السجين « تعال أدن إليّ فمش جنباً الى جنب في قفص »
قال الطليق « بين هذه الاشجاح ؟ بين الفضاء الذي تشرف فيه جناحي ! »
قال السجين « يا أسفاً ! أنا لا أعرف كيف أطير ، فتركني محلقاً في الخلاء »

* * *

وصاح الطليق « ترنم ، يا عزيزي ، بألحان الحرية »

فقال السجين « اجلس أنت الى جانبي أعلمك الحديث المهذب »
قال الطليق « لا ، آه لا ! إن الأغاني لا تلقّن »
قال السجين « يا أسفي ، فأنا لا أحسن أن أترنم بألحان الغابة »

لقد كان الحب في قلبيهما عاصفاً ، ولكن أنّى لهما أن يطيرا معاً جناحاً الى جناح
وتخللت نظراتهما قضبان القفص ، وعبثاً حاولا أن يتعانقا
ورفت أجنحتهما في شوق ثم انطلقا ينشدان معاً « تعال إليّ يا من أحب »
ثم قال الطليق « أنا لا أستطيع أن أكون سجنك فأنا أخشى الباب المغلق »
وهمس الطائر السجين « يا أسفاً ! إني لا أجد القوة في جناحيّ الذاويين »

— ٧ —

يا أماه ، ان الامير الشاب سيمر اليوم يا بابا ... فكيف أقوم بمثل هذا الصباح ؟
أرني كيف أصفف شعري ، وخبرني أي ثيابي القشيبة ألبس
لماذا ترمقيني في دهشة ، يا أماه ؟
أنا أومن بأنهُ لن يرفع بصره إلى نافذتي فيحييها بنظرة واحدة ، وانهُ سينطلق من أمامي في لمحة خاطفة ، غير ان الفتيات تأتيه ستتدفع اليّ من بعيد قبل أن تتلاشى في ضباب الفضاء
ولكن الامير الشاب سيمر يا بابا ولابدَّ أن ألبس الآن ثوب ثيابي

* * *

يا أماه ، لقد مرَّ الامير يا بابا وأشعة الصباح تتألق على مركبته
لقد رفعت عن وجهي قناعه ، وخلعت عقد الياقوت لألقي به في طريقه
لماذا ترمقيني في دهشة ، يا أماه ؟
انا أومن بأنهُ لن يلتقط عقدي وأنهُ سيتحطم تحت عجلات مركبته ثم يبقى بقاءً حمراً على الارض ، وما من أحد يستطيع أن يعرف ماذا كانت هديتي ولا الى من أهديتها
غير ان الامير الشاب مرَّ يا بابا فنزعت عن صدري حليتهُ لألقي به في طريقه

— ٨ —

حين انطفأ السراج الذي الى جانب فراشي استيقظت في بكرة الصباح مع الطيور
وجلست الى نافذتي المفتوحة وعلى شعري المشعث إكليل من الزهور اليانعة
وفي نسمة الصبح جاء المسافر الشاب
وفي عنقه عقد من لؤلؤ ، وأشعة الشمس تنكسر على تاجه ، فوقف لدى بابي وسألني وفي رنات صوته معنى الشوق « أين هي ؟ »
وخجلت فما استطعت أن أقول « إنها أنا ، أيها الشاب المسافر ، إنها أنا »

* * *

لقد كان الظلام يشعل ومصباحي خامد
وكنت أرتب شعري في أناة
وعند الغسق أقبل المسافر الشاب في عربته
وعلى فم جواديه رغوة التعب ، وعلى ثيابه غبار السفر
فترجل بأزاء بابي وقال بصوت فيه الجهد « أين هي ؟ »
فخجلت فما استطعت أن أقول « إنها أنا ، أيها المسافر المتعب ، إنها أنا »

* * *

لقد كانت إحدى نياني الرين ، ومصباحي يضطرب في حجرتي
ونسيم الجنوب يهب في رقة وهدوء ، وبنفسج الثوار ينمو في قصعه
وأنا أرتدي قميصاً في ألوان عنق الطاووس ، ودثاراً في لون النبت الأخضر الغض
وقد جلست أنا الى النافذة أرقب الطريق المقفر
وفي جوف الليل رحت أهمهم « إنها أنا ، أيها المسافر القانط ، إنها أنا »

— ٩ —

حين أطلق وحدي — في جوف الليل — الى من أحب ، يكون الطير قد سكت عن الغناء ، والرياح قد رحت عن هبتها ، والدور عن حاني الطريق قد شملها السكون
غير أن خلاخيلي هي التي ترن عند كل خطوة لشعري الخزي

* * *

وحين أجلس في منزل أحبه وقع قدمه ، أجد حفيف أوراق الشجر قد

خد ، وأمواه النهر هادئة كأنها السيف على تحذي الجندي النائم
غير ان قلبي هو الذي يدق في عنف... وأنا لا أدري كيف أهدىء من روعه

* * *

وحين يأتي من أحب فيجلس الى جانبي فينتفض جسمي انتفاضاً و أغمض عيني يكون الظلام أسدل مسوحه ، والرياح راحت تصف فتطفىء سراجي ، والسحب تسحب ذيلها على الكواكب
غير ان حلى صدري هي التي تشع فينبعث منها النور وأنا لا أستطيع سترها

— ١٠ —

يا عروس ، دعي عملك جانباً ، واستمعي ، فالضيف قد أقبل
أتسمعين ؟ إن يديه تداعبان رتاج الباب في رفق
فاحذري أن يرن خلخالك رنّاته المدوّية ، وأن تختلج خطواتك حين لقياه
يا عروس دعي عملك جانباً ، فالضيف قد أقبل مع المساء

* * *

لا ، ليس هذا صوت الريح الصرّ — يا عروس — فلا تفزعي
إنها ليلة مقمرة من ليالي أبريل ، والظلال في فناء الدار شاحبة ، والسماء فوقنا صافية
اسدلي قناعك إن شئت واصحبي السراج الى الباب إن استشعرت الخوف
لا ليس هذا صوت الريح الصرّ ، يا عروس ، فلا تفزعي

* * *

ولا تتحدثي إليه إن أحسست الخجل وقفي إلى جانب الباب حتى تتلاقيان
واذا سألك عن شيء فاخفضي الطرف في صمت إن أردت
واحذري أن يسمع وسوسة خلخالك وأنت ترافقينه إلى الداخل وفي يدك السراج
ولا تتحدثي إليه إن أحسست الخجل

* * *

أفلم تنجزي عملك ، يا عروس ؟ استمعي فالضيف قد أقبل
أفلم تشعلي السراج في زربية الزهر ؟
أفلم تهيئي سلال الهدايا التي تقدمين في المساء ؟
أفلم تضعي شارة الجمد الحمراء عند مفرق شعرك ، وتزيني جيدك بالمرجان ؟

أتسمعين يا عروس ؟ لقد أقبل الضيف
فدعي عملك جانباً

— ١١ —

تعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة
ولا يُعنّيك أن تلتمسي عقائص شعرك ، أو أن يكون مفرق شعرك مضطرباً ، أو أن تتدلى منطقتك
بل تعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة

* * *

تعالي — على العشب — في خطى فسّاح
ولا يعنّيك أن تمحي أصباغ قديمك من أثر الندى ، أو أن تحل جلاجل خلاخيلك ، أو أن يفرط عقدك الياقوتي فتتناثر حباته
بل تعالي — على العشب — في خطى فسّاح

* * *

أتترين السحب وهي تنعقد في السماء ؟
وأسراب الكراكي تندفع من شاطىء النهر الأقصى ، وتتناوحة تحت الروح والقطعان تطير الى القرية في ذعر لتحتمي بزرائبها
أتترين السحب وهي تنعقد في السماء ؟

* * *

عبثاً تحاولين أن تجري مصباح زينتك ، لأنه يضطرب من أثر الريح ثم يخبو
من ذا الذي يدري ؟ لعل أهدابك لم تمس ساج المصباح لأن دمع عينيك أشد حلوكة من سواد السحابة الماطرة المطر
وعبثاً تحاولين أن تجري مصباح زينتك لأنه يخبو سريعاً

* * *

تعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة
ماذا يضير اذا لم ينعقد اكليل الزهر ، أو لم يشد النو
إن السحب تتكاثف في السماء ، والزمان ينطوي
فتعالي كما أنت ولا تضيعي وقتك في الزينة

— ١٢ —

إذا كنتِ في مشغلة وأردتِ أن تملأي جرتك ، فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي
فأوّها يداعب قدميك ويكشف لك عن سرّه
إن طلائع الفيء تتهادى على الرمال ، والسحب تتراكم فوق هامات الشجر
الزرق كما يتكاثف شعرك فوق حاجبيك
وأنا أستشعر نغم وقع قدميك لأنها تقع في قلبي
تعالي ، تعالي إلى بحيرتي إن أردتِ أن تملأي جرتك

* * *

وحين تريدين أن تجلسي في فتور، وتذّري جرتك تضطرب على سطح الماء،
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي
فالمنحدر تزينه الحشائش الخضر وألوان من الزهور البرية
ستشع خواطرك من عينيك السوداوين كما يطل طائر من عشه
وسيسقط ضيقك عند قدميك
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي حين تريدين أن تجلسي في فتور

* * *

وإذا شئتِ أن تتبذّلي اللهو جانباً لتدفني بين طيات الماء فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي
ثم اقذفي بثوبك الأزرق على الشاطىء لتلبسي من زرقة الماء ثوباً غيره . يضمك
ويحول بينك وبين الأعين
فالأمواج ستترقب لتقبل عنقك وتهمس في سمعك
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي إذا شئتِ أن تدفني بين طيات الماء

* * *

وإذا جنّ جنونك فانطلقت تنشدين التيه [illegible] فتعالي . تعالي
إلى بحيرتي
ففيها البرد والعمق اللانهائي
وفيها ظلام كأنه الموت العميق
وفي غورها تستوي الظلمات والنور ، والأعالي والسكون
فتعالي ، تعالي إلى بحيرتي إن أردتِ أن تنشري في جسم الموت

— ١٣ —

أنا لا أسألك شيئاً إلاَّ أن تجلسي على حافة الفناة في ظل شجرة
ما يزال الفتور في عيني الفجر ، وما تنفك قطرات الندى تضطرب في الفضاء
وما تبرح رائحة الحشائش الندية تنبعث — على وجه الأرض — خلال الضباب الصفيق
وأنت تجلسين تحت شجرة (ابابان) [1] تحلبين بقرتك بيديك الغضتين الناعمتين وكأنهما الزبدة
وأنا واقف في صمت

* * *

لم أنبس بكلمة ، بل هو الطائر الفريد الذي راح يترنم وهو يتوارى وراء الأيكة
لقد كانت أزهار شجرة المانجو تتناثر على طريق القرية فتهافت نحوها النحل فرادى
وعلى جانب البركة باب معبد (سيڤا) مفتوح ، وقد أخذ العابد ينشد أناشيده
وفي حجرك وعاء تحلبين فيه بقرتك
وأنا واقف في صمت وبين يديَّ قدحي الفارغ

* * *

لم أقترب منك
لقد كانت السماء تهب من غفوتها مع دوي طبل المعبد
وغبار الطريق تثيره حوافر القطعان السائرة
والحواري مقبلات من لدن النهر وعلى أوراكهن أثر ما لفظته جرارهن المفرغة
وسارزك توسوس ، والزبد يعلو على حافة جرتك
وأسفر الصبح وأنا لم أقترب منك

— ١٤ —

عند الأصيل كنت أذاعب على الطريق الى غير غاية ، والنسيم يعبث بأفنان شجرة الجوزان فتخف حفيفاً خفيفاً
وظلال المتحدر تمد ذراعيها في أثر الضوء الفارّ

---

[1] شجرة الابابان : شجرة هندية تشبه شجرة التين وهي من فصيلتها

والطيور تستشعر السأم من أغانيها
وأنا أدلف على الطريق الى غير غاية

* * *

والكوخ الى جانب الغدير تظله دوحة عظيمة
وهناك فتاة في شغل ، وحِلاها ترن — في ناحية — في موسيقا عذبة
فوقفت أنا بازاء هذا الكوخ . . . وقفت ولست أدري لماذا

* * *

الطريق الضيق ينحني بخترق حقول الخردل وغابات الفاكهة المتكاثفة
وهو يمر بعبد القرية وبالسوق عند السورية
فوقفت أنا بأزاء هذا الكوخ . . وقفت ولست أدري لماذا

* * *

منذ سنوات كانت نسمات مارس تهب هينة ، على حين كانت همسات الربيع ترتفع مكدودة متعبة ، وأزهار المشمش تتساقط فتتعثر في التراب
وأمواج الماء تثب في خفة لتداعب الجرة الموضوعة عند مأتى الماء
اني أذكر من هذا اليوم اقاص مارس الحادثة . . . اذكرها ولست أدري لماذا

* * *

أخذ الظلام ينشر أستاره والنقطعان ترتد الى حظائرها
وراح الضوء ينحسر عن المروج الخاوية . والفلاحون ينتظرون انفراد لدى الشاطىء
غير أني رجعت وحدي في بطء وملل ، وأنا لا أدري لماذا

— ١٥ —

إني أشتد كما يشتد غزال الملك في ظلال الغابة وقد أسكرته روح الملك المنبثة منه

إن هذه هي إحدى ليالي مايو التي تتنفس فيها ريح الجنوب
لقد ضلت طريقي فلا أهتدي ، وأنا أفتش عن أشياء لا أجدها ، وأجد أشياء لا أفتش عنها

* * *

إن طيف وشيني يبدو من فتى فيضرب ناحيتي
هو طيف متألق يخدع أمام ناظري
لقد أجهدت نفسي أن أمسك به في . . . غير أنه أفلت من بين يدي ودفعني الى الخطة السحيقة

فرحت أفتش عن أشياء لا أجدها ، وأجد أشياء لا أفتش عنها

—١٦—

يد في يد ، وعين تحدق في عين . . . هكذا ابتدأ تاريخ قليلة

انهُ ضوء القمر تلامع في إحدى ليالي مارس . إنها رائحة الحناء تتأرّج فتعطر الهواء . إنهُ ناي المنفى جاباً في غير عناية . ولكن إكليل زهورك لم يتم بعد

وآصرة الحب التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

* * *

إن قناعك ، في لونه الزعفراني ، يكرّ عينيّ

وهذا الاكليل الذي تصنعين لي من أزهار الياسمين بثت في قلبي هزات الشكر

إنه عبث المنح والمنع ، والظهور والاحتجاب ، فحيناً تبتسمات وحيناً بعض الخجل ، وحيناً آخر بعض النزاع العذب

ولكن آصرة الحب التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

* * *

لا غير ، وراء الحاضر ، لا جهاد في سبيل المستحيل ، لا أشباح وراء رقي السحر ، ولا غوص في غمار الظلمات ، لأن آصرة الهوى التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

* * *

نبقى هنا نتكلم لنظل في الصمت الأبدي ، ونحن نرفع أيدينا الى السماء طالبين أشياء لا يرقى اليها الأمل

يجب أن نقنع بما يعطي ونأخذ

إننا نحطم السرور فنعتصر منهُ خمر الألم

ولكن آصرة الهوى التي بينك وبيني بسيطة كالأغنية

—١٧—

إن الطائر الأصفر على فننه يغرّد فيهتز له قلبي طرباً

إن كلينا سكان قرية واحدة ، وهذا هو سرّ بهجتنا معاً

إن خرافيها المدللين يجيئان ليرعيا في ظلال أشجار حديقتي

وحين ينسلان الى حقلي المزروع شعيراً ، أحتضنهما بين ذراعي

بين فرحنا في حضنا وشهرتها هو أنجانا

وسحر معرفة كل من في القرية ، أما نحن فهو راء نجانا

* * *

إن خلاءً واحداً يفصل بيننا

فالنحل التي تتخذ في حديقتنا بيوتاً تلتمس الرحيق من حديقتهم
وأزهارهم التي تتساقط في النهر بدفعها التيار الى حيث نستحم
والسلان الملأى بزهور ( الكسم ) الخافقة ترد من حقولهم الى سوقنا
إن قريتنا هي خاجانا ونهرنا هو أنجانا
واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو راخجانا

* * *

إن الطريق الذي يقود إلى دارها يتأرج — في أيام الربيع — بعطر أزهار المانجو
وفي حقولهم ، حين ينضج بذر الكتان نبوشك أن نحصده ، تتفتح أزهار القنب في حقولنا
والنجوم التي تبسم فوق دارهم ترمقنا أيضاً بنظراتها المتآلفة
والأمطار التي تملأ أحواضهم تنعش عندنا غابات ( الكادام )
إن قريتنا هي خاجانا ونهرنا هو أنجانا
واسمي يعرفه كل من في القرية ، أما اسمها هي فهو راخجانا

— ١٨ —

كما ينطلق الأخوان إلى القدير، نبسمان — دائماً — حين تبدو هذه المكان
عندما تتساقط إنساناً يتوارى خلف الأشجار كما انطلقنا الى القدير

* * *

إن الأختين تبسمان كلٌّ في أذن الأخرى ، حين تمران بهذا المكان
لعلهما كشفتا عن سر ذلك الانسان الذي يتوارى خلف الأشجار كما انطلقنا إلى القدير

* * *

إن جرتيهما تتهاديان على حين غفلة فيتطاير منهما رشاش حين تلقان هذا المكان
منهما استشعرتا ألماً يدق في عنف ويتوارى خلف الأشجار كما انطلقنا الى القدير

* * *

إن الأختين تتبادلان النظرات ثم تبسمان ، حين تلقان هذا المكان
إن خصلاتهما الرشيقة تبدو ضاحكة ، على حين تمتلئ هي الاضطراب في
خواطرها من يتوارى خلف الأشجار كما انطلق الأخوان إلى القدير

— ١٩ —

أنت تبسمين بزهو النهر وقد حملت جرتك المترعة
فهذا تحدثين في من خلال وصاوص مقابك المصنوع

إن شعاع هذه النظرات يثبت من ضمير الظلماء فيفمرني كأنه نسمة رقيقة تهب على الماء المنساب فترسل فيه هزة اضطراب ، ثم تدفع الى الشاطىء البعيد

إن شعاع هذه النظرات يدفع إليَّ كأنه طائر الليل الذي يجتاز في سرعة ما بين طرفي الحجرة المظلمة ، فيدخل من نافذة ويخرج من الأخرى ، ثم يتلاشى بين أستار الليل

إنك تختفين كأنك نجم توارى خلف التلال ، وأنا أسير على الطريق

ولكن لماذا تتلثمين قليلاً لتحدقي فيَّ من خلال رصاوص نقابك ، على حين كنت تسيرين بازاء النهر ، وقد حملت جرَّتك المترعة ؟

— ٢٠ —

انه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

انظر اليه — يا صديقتي — وقدّمي اليه زهرة من زهرات شعري

واذا سألك عن التي بعثت اليه بهذه الزهرة فلا تسميني له . . . لأنه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

* * *

انه يجلس دائماً على الزرى في فيء شجرة

فابسطي له — يا صديقتي — طنفسة من الزهر وأوراق الأشجار

إن في عينيه حزناً يتسرب الى قلبي

وهو لا يتحدث عن بعض خواطره . . . غير أنه يأتي ، يوماً بعد يوم ، ثم يعود

— ٢١ —

لماذا آثر هذا الشاب الطائم أن يهفو نحو باب كلما أسفر الصبح ؟

في إقبالي وإدباري ، أمس أنه دائماً ، يتعلق بصري بسمات وجهه

فلا أدري أأتحدث اليه أم أجلس في صمتي ؟ ولكن لماذا آثر هو أن يهفو نحو بابي ؟

إن ليالي يوليو التي تغيم فيها السماء تبدو حالكة ، وإن سماء الخريف تغازل زرقة صافية ، وإن أيام الربيع تزعزعها رياح جنوب

وهو في كل آن يرسل نغم أغانيه بدأ

لقد تحولت عن عملي وفي عيني عبرات . ولكن لماذا آثر هو أن يهفو نحو بابي ؟

— ٢٢ —

حين مرت هي في خطى سراع ، لمسني ذيل مرطها
وعلى حين فجأة راحت نسمات الربيع الدافئة تهب من مجاهل قلبي
وعترتني هزة من أثر اللمسة اللطيفة ثم تلاشت سريعاً كأنها خفقة ورقة من أوراق الزهر عصفت بها الريح ثم هبطت على قلبي كأنها آنة جسمها وهمسة قبلها

— ٢٣ —

لماذا نجلس هنا نعين بحلاك في فتور ؟
إملأي جرتك . فقد آن لك أن تعودي إلى دارك
* * *
لماذا تضعفرب يداك في الماء، وأنت — في فتور — ترقبين على الطريق قادماً ؟
املأي جرتك وتعالي الى الدار
* * *
لقد تصرمت ساعات الصباح ... وثج الماء العكر
ها هي الأمواج تبسم وتهامس في فتور
* * *
وهناك ، عند نشز من الأرض ، انعقدت السحب المتناثرة على حافة السماء
إنها تثريث وتحدق في وجهك ثم تبسم في فتور
فاملأي جرتك وتعالي الى الدار

— ٢٤ —

ياصاحبي ، لا تدفن سر قلبك بين ثناياه
بل اكشف لي عنه ... لي وحدي ... وفي خلوة
أنت ياس تبسم في لطف ، وتهمس في رقة ... إن قلبي هو الذي يصغي لك
ليست أذني
* * *
لقد سجا الليل ، وهدأت الدار ، وأوكار الطير لفها النوم في طياته
فتحدث إليّ من خلال عيناك الرقراقة ، من خلال بسماتك العذبة ، من خلال الخجل الحلو والأمل الجميل ... تحدث إليّ عن سر قلبك

# باب الأخبار العلمية

## الجمعيات العلمية في انكلترا[1]

لقدري حافظ طوقان

تمتاز انكلترا بما يسودها من نشاط فكري يقوم على أساس من النظام والدقة والاتقان . وبفضل هذا النشاط المنظم نمت العلوم وازدهرت الفنون ونشأت جمعيات وهيئات تعمل على رعاية هذا النمو وتمهد ذلك الازدهار ورفع شأن الباحثين وتشجيع الانتاج والابتكار ففتحت المدارك وأثمرت المواهب وجادت القرائح فاذ نحن أمام روح عبقريات نتج عنه تقدم عجيب في العلوم والفلسفة والاختراع والاكتشاف . وكان من آثار هذه الجمعيات أن مهدت الى بروز المزايا النفسية والعقلية عند كثيرين من الذين كان لهم الفضل الكبير في اقامة دعائم الحضارة والعمران

بدأ اهتمام الناس بالبحوث العلمية في القرن السابع عشر للميلاد حين طلع فرنسيس باكون Bacon (١٥٦١ - ١٦٢٦) وديكارت Descartes (١٥٩٦ - ١٦٥٠) ببحوثهما وآرائهما على الناس

كتب باكون في الأسلوب العلمي وفي ان الحقائق العلمية لا تثبت الا بالتجربة والبرهان ووضع قواعد اعتبرها اصولاً يسير عليها الباحثون في بحوثهم العلمية . وذاعت هذه الكتابات وانتشرت في مختلف الأنحاء ورأى فيها المتعلمون تطوراً خطيراً مهد الطريق التي يجب على الباحث مراعاتها والسير بموجبها وبذلك تلاشت الصعوبات التي كانت تعترض الباحثين والمفكرين عند عرض ما يجول بخواطرهم وأفكارهم . أما ديكارت فقد وضع كتاباً دعت الى الاهتمام بالبحث العلمي ووضعت على طريقة اعتبار القائل قبل القول فصحة القول لا تكون باسنادها الى عالم او الى امام من أئمة العلم او الفن بل بمقدار ما ينطوي عليه من حقيقة واخلاص للحق

في هذا الجو ازدهرت عناية الناس بالعلم والأدب والفن وسرت في نفوسهم روح البحث والدرس فقامت جماعات عديدة تنشد انشاء جمعيات غايتها الكشف عن الحقيقة في مختلف الميادين ورعاية القائمين والمشتغلين بذلك . وتمت العلوم رياضية وطبيعية نمواً أدى الى الارتقاء العجيب الذي نشاهده الآن في الاختراع والاكتشاف . وازدهرت علوم الطب والكيمياء وما يتفرع عليها

(١) حديث ألقي في نادي الأدباء الفلسطينيين وانتدبت منه

ازدهاراً نجمت عنه تصورات هامة في شتى نواحي الحياة الاجتماعية والصحية والمادية ، وفوق ذلك نفذ نظر الانسان الى بعض اسرار الكون مشرفاً على ما هو أعجب من السحر وأغرب من بنات الخيال

في منتصف القرن السابع عشر للميلاد كان كثيرون من الذين يعنون بالعلوم الطبيعية والفلسفة يجتمعون للمذاكرة والدرس وقد أسسوا جمعية غايتها توسيع نطاق البحث العلمي ، والعمل على ترقية العلوم والفنون وفي سنة ١٦٦٠ طلب هؤلاء من الملك شارلس الثاني تثبيت جمعيتهم ومعاضدتها وكان لهم ما ارادوا من تثبيت الجمعية التي عرفت منذ ذلك الحين باسم « الجمعية الملكية »

وسارت الجمعية في طريق التقدم تحيطها رعاية الملك ورجال الحكم فأسدت اجل الخدمات الى البلاد وقامت بنصيب هام في المساهمة في خدمة المدنية

كانت الجمعية توالي اجتماعاتها حيث تلقى المحاضرات وتتلى الرسائل العلمية المختلفة وكان من أهم الاعمال التي قامت بها الجمعية في بدء الأمر فضاؤها على السحر والشعوذة . فقد تجمعت البلاد الانكليزية من سعة قلل من يتهم بالسحر وبحثت في امرهم وما يصدر عنهم من آراء وأفكار . وستطاعت بفضل محاضرها أن تخرج عقائد الناس بالسحر والشعوذة ووضعت حداً للخرافات التي كانت شائعة ومنتشرة

وتناوب سند الرآسة في هذه الجمعية كثير من فحول العلماء وكبار الفلاسفة وكان لبعضهم الفضل الاكبر في تحقيق بعض غايتها فوجه روبرت بويل ، مثلاً ، جهوده الى رفع مستوى الجمعية وخدمة أغراضها وتمكن من تهيئة جو علمي ساعد على اظهار المواهب والخصائص التي لم تكن لتظهر لولا الجمعية وذاك الجو الذي هيأه فيها بويل . وبرز نيوتن وغيره من الحكماء وعرض على الجمعية بعض تجاربه وبحوثه فانتخب عضواً تقديراً لنبوغه وآثاره وفي اوائل القرن الثامن عشر للميلاد انتخب رئيساً ، وبقي في الرآسة اربع وعشرين سنة الى ان وافته المنية . وقد قام خلال هذه المدة بخدمات ثمينة لم تعرف الجمعية غالباً غيره أعز منها فكانت رآسته موضع فخر أبدي . وهب نفسه وجهوده للعلم فكشف الجاذبية ونواميسها ووضع أساس التكامل والتفاضل وتقدم بالضوء خطوات واسعة مما جعله من أعظم علماء العالمين في تاريخ تقدم الفكر والعلم

وفي سنة (١٦٧٥) طلبت الجمعية من الملك ان يبني مرصداً للرصد والملاحة فأجاب طلبها وعهد اليها بالأشراف عليه . ولا يخفى ما أسداه ويسديه هذا المرصد من خدمات الجليلة في علم الفلك وشؤون الملاحة

في ظل هذه الجمعية نشأ علماء كثيرون اشتهروا ببحوثهم ونتاجهم في علوم الطبيعة والرياضة والفلسفة والفلك وانبغ هؤلاء رجل وحيد وعبقري فذ وهرشل وبيج دلتن وفراداي

وبروستر وغيرهم . وفي سنة ١٨٢٥ أنشأ الملك جورج الرابع وسامين من الذهب للجمعية الملكية لتمنح بهما على الجديرين من رجال العلم والفكر . فمنحت احدهما لدالتن الكيميائي لاستنباطه الرأي الجوهري المعروف الآن بالعربية باسم المذهب الذري . وفي سنة (١٨٣٩) كتب دارون الشهير رسالة وصف فيها الحوادث البركانية فانتخبته الجمعية عضواً فيها ثم منحته الوسام الملكي عام ١٨٥٣ على كتابه في جزائر المرجان كما منحته وساماً آخر على كتابه في أصل الأنواع

ومن هنا تتبين فضل الجمعية الكبير في شحذ الهمم وتشجيع الانتاج والاشتغال بالعلوم ولا يخفى أن هذا من أهم العوامل التي تقدمت بالعلم والحضارة هذا التقدم الذي نلمحه في مختلف النواحي العمرانية

وهناك جمعيات غير هذه نشأت في انكلترا لرعاية العلم وتشجيع البحث في شتى العلوم — الرياضية والطبيعية والفلكية والنفسية والفلسفية والتاريخية والجغرافية والاقتصادية وغيرها

وينتسب الى هذه الجمعيات العلماء والمثقفون والمتعلمون من الذين يُعنون بهذه الفروع ويعملون على التوسع فيها واستجلاء الغامض في موضوعاتها وكشف الحقيقة في مختلف شؤونها

وقد أضاف بعض هؤلاء اضافات هامة الى تراث الانسانية العلمي كما ساهم غيرهم في خدمة الحضارة

لولا هؤلاء والمنضمين في الأقطار الأخرى لما تقدمت العلوم الطبيعية والهندسية والرياضية هذا التقدم الذي نتج عنه تطورات خطيرة في الصناعة والملاحة والتجارة

لقد أسدت الجمعية الرياضية التي خدمات الى الرياضيات فتعهدت المشتغلين فيها وشجعت الابتكار والانتاج فظهر من بين اعضائها من استعمل الرياضيات في العلوم الطبيعية والنفسية لمعادلات والأرقام للاستفادة عملياً من النواميس والقوانين التي تسيطر على الكون ومحتوياته ، وقد نتج عن هذا الجمع وذلك الاستغلال أروع تقدم اصاب الحضارة الصناعية

وما يقال عن الجمعية الرياضية يقال عن الجمعيات الأخرى التي انشئت لرعاية العلوم والفنون كالفلك والطب والجغرافيا والكيمياء والجراحة والتاريخ والموسيقى والنحت والفلسفة والاقتصاد

في هذه الجمعيات ترعرع العلم ونما الفن وازدهر ومن هذه الجمعيات خرجت أكثر المخترعات والمكتشفات التي مكنت الانسان من السيطرة على بعض عناصر الطبيعة واستغلالها لمنافعه وما يعود عليه بالتقدم والرقاء

وفي الوسع القول ان للجمعيات العلمية في انكلترا الفضل الأكبر فيما أحرزه الانكليز من شهرة علمية وفيما أسدوه عملاؤهم من خدمات جليلة في مختلف العلوم والفنون وما أحدثه المخترعون والمكتشفون من تغييرات خطيرة في الحضارة الصناعية في هذا العصر

انيس قدري حافظ طوقان

## عيون من غير نظر

في مدينة أودسا الروسية الواقعة على سواحل البحر الاسود الشمالية يقيم الاستاذ فيلاتوف Filatov الذي يوصف بقدرته على إعادة قوة الابصار الى العميان. وإجراءه التجارب لاعادة البصر الى العيون التي أظلم نورها ليس بالشيء الجديد. ففي المؤلفات الطبية غير حادثة واحدة نزعت فيها القرنية من عين سليمة وأحلت محل قرنية مؤوفة في عين أخرى فعادت الى الابصار. ولكن هذه العمليات نادرة وعلى جانب عظيم من الصعوبة لأنها تشمل نقل قرنية عين حيَّة — وهذه لا تتاح الا في أحوال نادرة كأصابة أحدهم إصابة تقتضي نزع عينه من محجرها أو إتفاق قتل رجل في إصطدام فيجوز أخذ عينه على أثر حدوث الوفاة. الا ان الاستاذ فيلاتوف تقصى ما كنه كبار الجراحين الذين درسوا العين وعملوا عمليات من هذا القبيل وتخطاهم الى إثبات حقيقة جديدة وهي انه يستطيع أن ينقل قرنية عين ميت الى عين حي، وليس هذا النقل ضروريًّا على جناح السرعة كما في حوادث الاصابات الفجائية بل استطاع ان يضع نظاماً خاصًّا لحفظ القرنية بضعة أيام من غير أن تفقد قدرتها على الحياة ثم تزرع محل القرنية المؤوفة وهذا على نمط حفظ الدم لاستعماله في التضميد عند الحاجة اليه

## الطائرات المقنصة

اشتهرت الطائرات الالمانية المقنصة في معركة فرنسا بما كان لها من تأثير مبلبل في صفوف الطيوش المدافعة. وطريقتها ان تنقضَّ الطائرة من الجو بسرعة عظيمة انقضاضاً يكاد يكون عموديًّا ثم تلقي قنبلتها على الهدف من ارتفاع يسير فتكسب القنبلة المقذوفة زخم الطائرة المنقضة بسرعة فكأن القنبلة قذفت من ارتفاع عظيم وكسبت بسقوطها زخم السقوط. ولكن قد ترى الطائرات المنقضة عيار على القنابل المقذوفة من ارتفاع عظيم فأن القاءها من ارتفاع يسير يمكن الطيار من تسديدها تسديداً محكماً الى الهدف المقصود

استعمل هذا النوع من قذف القنابل في الحرب الأهلية الاسبانية ولكن تعسر استعماله حينئذٍ على قذف السفن التجارية تقريباً ويقال ان طيَّاراً واحداً تمكن من اغراق ثلاث سفن تجارية كبيرة. ثم جرِّبت في الحملة الالمانية على بولونيا ضدَّ الدبابات وفي تأييد فرق المشاة بتفريق شمل المدافعين

ويجب ان تكون الطائرة متينة البناء لكي لا تتفرق اجزاؤها وهي منقضة في الفضاء انقضاضاً لمقاومة الهواء لها مقاومة عظيمة. ويفضل ان تكون ذات محركين حتى يكون مجال النظر امام الطيار خالياً مما يحجب عنهُ الاهداف التي يتوخاها. وتوضع القنابل تحت جسم الطائرة وتلقى القاءً بشد ذراع او تحريك جهاز خاص

## فائدة ثاني أكسيد الكربون

### في الحرب

عيا الناس في كثير من المدن الأوربية يسيرون حاملين أقنعتهم الواقية من الغازات الحربية. هناك غاز غير سام اذا لم يكن مركزاً في جو غرفة مقفلة ، تجنى منه فوائد متعددة في الأعمال الحربية . وهذا الغاز هو ثاني أكسيد الكربون الذي يدخل في صنع ماء الصودا

فالزوارق المصنوعة من المطاط التي اعتمد عليها الألمانيون في اجتياز منطقة الدفاع المائية في هولندا كانت تنفخ بتفريغ هذا الغاز فيها من زجاجة حصر فيها تحت ضغط كبير. والثار التي تشبّ في محرك طائرة تطفأ باطلاق هذا الغاز عليها . وكذلك النيران التي تشب على الأرض بفعل القنابل المفجرة أو القنابل المحرقة تطفأ به . وقد أعدت سيارات نقل كبيرة تحمل اسطوانات عدت بهذا الغاز لاستعماله حيث تشب الحرائق

هذا الغاز يتصف بخاصتين تجعلان الاستغناء عنه متعذراً في مثل هذه الاعمال . أما الأولى فقابليته للتحول الى ثلج بفعل الضغط ثم تمدده وتحوله غازاً تحولاً سريعاً متى رفع الضغط عنه . وكذلك يصبح ثلجاً في الاسطوانات الخاصة به فاذا رفع الضغط عنه تحول غازاً . وأما الثانية فترتد الى ان وجوده يمنع عن نار مشبوبة ما يلزم لها من الاكسجين للاحتراق . وبغير وجود الاكسجين لا تشبّ نار ما

ومن أغرب وجوه استعماله ان مهندسي الطيران البحري الاميركي اخترعوا طريقة آلية لوقاية الطائرات من الغرق. ذلك ان الطائرات التي تحلق من سطح سفينة حاملة للطائرات قد يتعذر عليها لسبب من الأسباب ان تنزل على سطح الحاملة عند عودتها اليها فتنزل على سطح البحر ولا تكاد تمس سطح البحر حتى يتدلى من جسم الطائرة كيسان كبيران من المطاط ملؤهما ثاني اكسيد الكربون فتطفو بهما الطائرة على الماء الى ان ترفع

ومن هذا النبأ نعلم ان حرمة التجأة صنعت للطيارين من المطاط يملأ خزام منها ثاني اكسيد الكربون في ثوان ، ان فيساعد الطيار الساقط في البحر على الصعود الى ان تأتيه النجدة

### أطول التجربات عمراً

الهر الأليف . عشرون سنة (٢٠)
الأسد . خمس وعشرون سنة (٢٥)
فرس النهر . احدى وأربعون سنة ونصف سنة (٤١ ½)
الفيل . ثمان وأربعون سنة (٤٨)
السلحفاة . مائة واثنتان وخمسون سنة (١٥٢)

## الذهب المخزون في اميركا

زاد الذهب المخزون في الولايات المتحدة الاميركية زيادة مطردة من سنة ١٩٣٥ الى الآن والى القارىء الأرقام الدقيقة

١٩٣٥ — عشرة آلاف ومائة وخمسة وعشرون مليون ريال ( ١٠١٢٥ مليون )

١٩٣٦ — احد عشر الفاً ومائتان وثمانية وخمسون مليون ريال (١١٢٥٨ مليون )

١٩٣٧ — اثنا عشر الفاً وسبع مائة وستون مليون ريال ( ١٢٧٦٠ مليون )

١٩٣٨ — اربعة عشر الفاً وخمس مائة واثنا عشر مليون ريال ( ١٤٥١٢ مليون )

١٩٣٩ — ستة عشر الفاً وست مائة وعشرون مليون ريال ( ١٧٦٢٠ مليون )

## الوقاية من الكزاز

الكزاز ( التانوس ) من أعقد المشكلات الصحية التي يواجهها الطب في أثناء الحروب اذ يكفي ان يقع جندي جرح في قدمه أو يده أو أي عضو من أعضائه جرحاً مكشوفاً ليلتقط الجريح جرثومة الكزاز من التراب أو السماد أو حتى غبار الطرق

وقد أعلن الكومندور هول Hall كبير جراحي الأسطول الأميركي كشف مادة ( toxoid ) تصلح للتلقيح فتقي من يلقح بها من الاصابة بالكزاز . والحقنة تعطى مرتين بينهما فترة اسبوعين فيصح جسم المحقون قادراً على توليد الأجسام المضادة لجراثيم الكزاز وقد لقح بها جميع طلبة الأكاديمية البحرية الأميركية وأساتذتها وسائر رجاله

## العلماء في خدمة الحكومة الاميركية

تدل الاحصاءات في الولايات المتحدة الاميركية على أن علماء الذين كانوا في خدمة الحكومة في أول أكتوبر سنة ١٩٣٩ بلغ عددهم ٤١٩١٢ عالماً من الذين منهم ٤٠٢٠٠ من الذكور و ١٧١٢ من الاناث . من هؤلاء ٧٧٠٢ من المهندسين و ٦٦٠٠ من علماء الاقتصاد و ٢٦٥٠ طبيباً وطبيب أسنان و ٢٠٠٠ طبيب بيطري و ٣٢٠٠ عالم زراعي و ١٢٣٠ عالماً طبيعيًّا وجيولوجيًّا و ١٣٣٥ كيميائيًّا ومعدنيًّا و ٧٨٠ احصائيًّا و ٦٤٠ عالماً بالحيوان و ١٠١٥ بالحشرات . وبضاف اليهم ٤٤٥ كاتباً علميًّا

ويلاحظ أن لفظ « عالم » استعمل هنا بأوسع معانيها

تابع المنشور على الصفحة ٢٨٧

وقد اشتهر مرض البلاجرا من عهد بعيد ، وهو مرض شديد الانتشار ، بين الفقراء ولاسيما في مصر حيث يصاب به ثلاثون في المائة من اهلها . أما في بلدان الولايات المتحدة الاميركية فيبلغ المصابون به سنوياً ٤٠٠٠٠٠ نفس . ويقال إن عشرة في المائة من المجانين في ملاجيء الولايات الجنوبية من هاتيك البلاد يشكون ذلك الداء . وفي سنة ١٩١٢ رأى تنك Funk أن البلاجرا ناشئة من النقص الذي يحدث في غذاء الانسان المؤلف من احدى المواد التي سماها فيتامينات vitamines وبعد ذلك بسنتين بدأت ابحاث العالم التي قام بها جولدبرجر Goldberger وزملاؤه في مصلحة الصحة النموية لحكومة الولايات المتحدة الاميركية فأيدت إمكان علاج البلاجرا علاجاً ناجعاً والوقاية منها ايضاً وذلك بتغيير الغذاء الذي ألفهُ المصاب

والبلاجرا من الأمراض التي تقتضي زمناً طويلاً حتى تظهر . ولهذا السبب يمكن أن تتضاعف من عجز الغذاء وهذا الى تجز العامل المانع للبلاجرا ولا سيما فيتامين (ب B ) رقم (أ) والريبوفلافين . وقد تصحب البلاجرا مرضي الحصبة وحمى التيفويد أو غيرها من الأمراض المعدية ، ولكنها تعزى أصلاً الى خلوّ الغذاء من عامل خاص من العوامل الغذائية

وتؤثر أعراضها تأثيراً شديداً في ثلاثة من أجهزة الجسم وهي الجلد والجهازان الهضمي والعصبي . وقد تبدو أعراضها فتظهر في مبادئها الأولى بثابة لكسة . وتصيب البلاجرا المريض رويداً رويداً فلا يشعر بأعراضها الابتدائية وحينئذٍ تضعف ساقاه وتتغير شهوتهُ للطعام وينقص وزن جسمه وتسوء أخلاقه . وهذه أشد الأعراض الأولى المتادة تطوراً . أما التغيرات التي تطرأ على بشرة المصاب فتتخذ شكل جروح متناسقة بعضها مع بعض في أي جزء من أجزاء الجسم . وتكتنف تلك الجروح عادة الايدي والمعاصم والمرافق والركب والاقدام . أما الاعراض التي تشمل الجهاز العصبي فهي عادة التهيج العصبي والدوار والصرع والخدر الموضعي « التنميل » أو شلل الاطراف . أما في الحالات الشديدة للمرض فقد يحدث انحطاط في العقل الشوكي يفضي الى حركات تشنجية فيصاب المريض بفترات من الهبوط العقلي والذعر والهزء « الهلوسة » والاضطراب الذهني والهذيان وفقدان إدراك الوجهة التي يمشيها في سيره فقداناً تاماً . فاذا لم يسعف بالعلاج يحتمل أن يجنّ . ومن الأدوية الناجعة لذلك الداء حامض النيكوتينيك nicotinic acid أو أنه يشفي العليل في أيام معدودة فيرون الورم والمرض الجلدي والانحطاط العقلي واضطراب الهضم . واصلح الأغذية لعلاج المصاب بالبلاجرا ، الخميرة واللبن الحليب وجنين الحنطة والمبر[1] والخضراوات والبقول . أما الاصابات المعتدلة من البلاجرا فتعالج بغذاء يشتمل يومياً من ٣٠٠٠ الى ٤٠٠٠ وحدة حرارية مؤلفة من الخبز والكعك وأمثالها من الأغذية التي يتوافر فيها الفيتامين الواقي من البلاجرا ، مضافة الى اللبن الحليب

---

(١) المبر — الشرق — اللحم الاحمر الذي لا دسم له Lean meat

# مكتبة المقتطف

## مسند يعقوب بن شيبة في الحديث النبوي

نشر الدكتور سامي حداد : بيروت

مجلد الناشر

في أثناء تحرياتي المخطوطات الطبية العربية ونوادرها وقعت لي قطعة نفيسة من مسند يعقوب بن شيبة في الحديث النبوي الشريف ، وهي من أقدم المخطوطات العربية المعروفة، ولعلها أقدم نسخة من نوعها في العالم . فاشتريتها وحفظتها حرصاً عليها من الضياع . وحملتها مرة الى مصر واطلعت عليها بعضاً من علمائها ، منهم حضرة مدير دار الكتب الناصرية العامرة الذي رغب اليَّ في أخذ صورة فوتوستاتية منها ، فأخذت وحفظت في الدار . وكنت أرى في كل من اطلع عليها رغبة شديدة في الحصول على نسخة مطبوعة منها للاطلاع عليها ودرسها لما لها من المنزلة العالية في دراسة الحديث . فدفعني ذلك الى نشرها تعميماً للفائدة نشرتها منها وخدمة لعلماء الحديث الشريف

وحيث اني لم أكن يوماً من طلاَّب هذا العلم ولا ممن يجمع كتبه ومسانده ، عزمت قبل الاقدام على هذا العمل الخطير في درس هذه النسخة الأثرية درساً دقيقاً . ثم عرضتها على لجنة من علماء المغرب ومصر والشام ، أخص بالذكر منهم حضرة العلم العلامة والمحدث الكبير الشيخ محمد العربي بن محمد المهدي العزوزي المغربي نزيل بيروت اليوم ، وحضرة الشيخ الكبير والعالم النحرير محمد عبد الرسول ابراهيم مدير قسم الفهارس العربية بدار الكتب المصرية ، وحضرة العالم الفاضل الشيخ عبد الله العلايلي . وقرأتها عليهم لتحري الصحة والحكم بفضلها فاذا بكل من فضل فهو لعلم وان يكن من خصاً فهو مني

هذه نسخة أثرية في الحديث النبوي الشريف يرجع عهدها الى القرن الرابع الهجري

وهي تقع في اربع وعشرين ورقة من النوع الأكثر القديم مكتوبة بحبر أسود مائل الى الصفرة . ويبلغ طول الورقة الواحدة منها ٣ر١٧ سنتمتراً بعرض ر١١ وطول ما رقم منها

٥ر١٥ بعرض ٩ سنتمترات ، ويتفاوت عدد سطور الصفحة الواحدة بين ١٧ و ٢٠ سطراً . وهي بحالة جيدة من الحفظ ما خلا الورقة الأولى التي بليت حاشيتها الداخلية وزواياها الأربع

أما خطها فبسيط عادي يكثر فيه اللبس والغموض ويرجع ذلك الى عدة اسباب أهمها : —

١ً — كثرة الأغلاط الاملائية والنحوية

٢ً — وصل الحروف المنفصلة في كلة واحدة ووصل عدة كلات متوالية

٣ً — عدم الاعجام في كثير من حروفها

٤ً — وضع علامة الاهمال فوق بعض الحروف غير المعجمة للتفرقة بينها وبين الحروف المعجمة كما ورد ذلك فوق حرف السين والراء والحاء والعين في الكلمات الآتية : — « الرسول » ، « المسدد » ، « روي » ، « عمر » ، « حتى » ، « فباعوها » . فكثيراً ما تلتبس هذه العلامة بالحركات

٥ً — عدم كتابة الهمزة فيها الاّ في كلتين فقط

٦ً — عدم ورود علامة للتنوين الاّ في كلة واحدة

٧ً — عدم ورود علامة المد الاّ مرة واحدة ونظن انها أضيفت في عهد متأخر بدليل لون الحبر المكتوبة به

٨ً — كثرة استعمال علامتين للوقف . واحدة للاستطراد وأخرى للانتهاء . وهاتان العلامتان كثيراً ما تفضيان الى الالتباس بحيث يظنها القارىء حروفاً من أصل متن الكتاب

وقد اعتنى الحفّاظ الذين وقعت اليهم هذه النسخة بتصحيحها ومقابلتها بغيرها ، بدليل تكرار الملاحظات المختلفة الأشكال بهوامش اكثر صفحاتها . واليك انموذج بعض هذه الملاحظات :

« قل » — « سمع » — « نقل » — « سمع » قل

ومما يزيد في قيمة هذه المخطوطة تعدد السماعات الموجودة على الصفحتين الأولى والأخيرة منها وعلى هوامش كثير من صفحاتها الأخرى . وهي تبلغ نحواً من ثلاثين سماعاً . وكلها تثبت لنا انها بقيت معتنًى بها مرغوباً في سماعها الى اواخر القرن الخامس . ومن بعضها يمكن الاستدلال على معرفة كاتبها ومالكها الأول والزمن الذي كتبت فيه . فالسماع الاول الذي لمحمد بن أحمد الاشباني الدقاق مثبت في آخر ديباجة وفي المخطوطة وهو بدون تاريخ . ويتضح للمتأمل في هذا السماع وفي الديباجة وفي المخطوطة أنها كلها بخط واحد وحبر واحد . ومن نص السماع يظهر أن كاتبه هو الاشباني نفسه وبالتالي كاتب المخطوطة كلها . وللاشباني هذا سماع ثان يعود تاريخه الى السنة الثالثة بعد الأربعمئة وهو أقدم تاريخ مثبت في المخطوطة . فجلي اذاً ان كاتبها

الاشباني هو مالكها الأول وقد كتبها قبل سنة ثلاث وأربعمئة . ثم انتقلت من يد الاشباني الى يد أبي محمد الحسن بن عبد الملك بن محمد بن يوسف أحد من سمع النسخة عن الشيخ ابي سعد المظفر ابن الحسن بن المظفر السبط الهمداني . ويدل على ذلك السماع الخامس . ثم انتقلت الى يد احمد ابن ابي بكر الصرفي كما يظهر من سائر السماعات

ويغلب على الظن ان المخطوطة كتبت في العراق ، ثم انتقلت الى الحجاز بدليل السماع الرابع عشر وهو لامام محدثي القرن الخامس ابي عبد الله محمد بن ابي نصر بن عبد الله الحميدي الأندلسي صاحب كتاب الجمع بين الصحيحين ، والمتوفى سنة ثمان وثمانين وأربعمئة ، عن ابي الهيثم . وتاريخ هذا السماع سنة تسع وستين وأربعمئة بجامع المدينة

اذاً فقد انتقلت هذه النسخة من العراق الى الحجاز ومنها الى الشام ومرت على ايدي كبار الرواة والحفاظ في كل من هذه الأقطار . وربما كانت هي النسخة الوحيدة من مسند ابن شيبة الباقية والمعروفة اليوم في الشرق ، بل ربما كانت معدومة النظير في كل خزائن المخطوطات الشرقية

فحري بنا اذاً أن نعيرها من الاهتمام ما تستحقه ، ومن الدرس والتحري أدقه ، وان نحض طلاب الحديث وعلماءه على اقتنائها وحفظها لما فيها من الأثر الطيب والذكر الحسن ، والله الموفق

## على هامش التاريخ المصري القديم

تأليف عبد القادر حمزة باشا — المجلد الاول صفحاته ٢٤٠ قطع المقتطف
مطبعة دار الكتب . الثمن ١٠ قرشاً

هذه الفصول النفيسة ناحية كريمة من شخصية صحفي سياسي كبير وهي جديرة بكل احترام وعناية من رجال الحكم والفكر في مصر والشرق العربي . وعبد القادر باشا لم يسمح لمشاغل الصحافة والسياسة الكثيرة المعقدة المرهقة عن تتبع موضوع شغف به بعد زيارة قصيرة الى الآثار المصرية في الاقصر . فرأى البحث ومطالعة وزيارة الآثار في مواقعها وفي دار الآثار المصرية بالقاهرة لازماً أحس بعد قراءته الاولى الثانية لكتاب كابرييل - ماسبيرو - وزيارته الآثار زيارة متفرج ، ان بعض ما اخذت تتدفق فيها ذهني الآثار فتحدثني عن مجد عجيب بين أبي لم أحد في مدارس الحكومة التي تلقيت فيها تعليمي في جميع درجاته ما يرشد أو يبعث في الذهن فكرة شبه

وشارع عبد القادر باشا بعد هذه العبارة في الشوق الذي أثارها الحرف ان على الآثار صار يدرس في حلقة دؤوب لا يعرف منذ تسع سنين وزيارة لمعارف امتد وقتاً ما عنه الى الباحثين فرادها فيه . وذلك بين هذا من العناية الواجبة والتوسع في تدريس التاريخ المصري في المدارس

الابتدائية والثانوية ، وإن هذا من مئات المؤلفات التي يجب ان توجد في هذا التاريخ باللغة العربية »

معظم هذه الفصول في موضوعات تتناول نواحي من ثقافة مصر القديمة كبحث التقويم المصري وعقيدة الحساب بعد الموت وتأثير المدنية المصرية في المدنية اليونانية واقتباسات هوميروس من الأساطير والآداب المصرية

وقد خصص المؤلف فصله الأول بعد المقدمة لناحية من التاريخ المصري القديم قلما عني بها المؤرخون المصريولوجيون عناية وافية قبل العهد الأخير وهي حقبة ما قبل التاريخ ولا سيما العصر الحجري . وهذا البحث يشمل أصول نشأة المدنية المصرية مثل استخلاص نباتات الشعير والذرة والقمح من النباتات الوحشية واختراع الكتابة المصرية وما بين المدنيتين الكلدانية والمصرية من وجوه شبه تدل على الاتصال لا على الغزو وختم البحث بأن المدنية المصرية بنت مصر لا بنت بلد آخر

فالكتاب على ما ترى ليس تاريخاً مدرسيًّا منتظماً لمصر القديمة يورد ذلك تاريخ الأسر الحاكمة أسرة أسرة ، ومؤلفه الفاضل لا يقول إنهُ وضعهُ ليكون كتاباً من هذا الطراز ، وانما هو يشمل نواحي من تاريخ مصر القديمة جديرة بالعناية لأنها تستوقف الذهن المثقف وستليها فصول أخرى من قلمه وعلى نمطها ان شاء الله

وقد أسدى عبد القادر باشا خدمة كبيرة الى القراء بنقله طائفة من رسائل سياسية وغير سياسية كتبت في عهد الاسرة الثامنة عشرة وتبادلها ملوك مصر والملوك المجاورون لهم وكذلك ملوك مصر وحكام فلسطين وسوريا . وهذه الرسائل من اصول التاريخ الاصيلة علاوة على ما فيها من متعة ذهنية لأنها تصوّر الحياة الاجتماعية والسياسية في ذلك العصر تصويراً دقيقاً . ومن عناصرها « الحماية المستترة بستار المحالفة » و« معاهرات ملوك مصر للملوك المجاورين » و « الصلات بين الفراعنة وحكام سوريا » الخ . واصل هذه الرسائل منقوش على الواح تل العمارنة المشهورة التي كشفت في سنة ١٨٧٧

أسلوب الكتابة في هذه الفصول كأسلوب مؤلفها في مقالاته السياسية دقيق رصين ، وهوامش الصفحات حافلة بما يوضح المتن او يؤيده وهي زبدة ما خرج به المؤلف من مطالعاته الواسعة

أما طبع الكتاب وورقهُ في هذا المهد الذي علا ثمن الورق فيه غلاء فاحشاً فما يشرح الصدر ، ولا غرو فهذه دار الكتب المصرية مشهورة باجادة الطبع . والصور كثيرة في الكتاب وجميعها متقنة الاخراج سواء في ذلك ما طبع منها على ورق الكتاب او على ورق صقيل خاص وما طبع بالحبر الأسود او بالألوان

فهيء عبد القادر باشا بهذا العمل التقاني الموفق ونرجو أن يكون مثالاً يحتذيه أقطابنا من المشتغلين بالسياسة والادارة على سواله . ففي تاريخ مصر الحديث وحياتها الاجتماعية والاقتصادية مواضيع شتى جديرة بالدراسة. وقد شق محافظ عقيلي باشا وعبد القادر باشا الطريق فليسلكه الآتون

## تراجم أعيان القرن الثالث عشر

وأوائل الرابع عشر تأليف المرحوم أحمد تيمور باشا

مؤلف هذا الكتاب غني عن التعريف . فقد كان — رحمه الله — من أفاضل العلماء الذين جمعوا الى سعة العلم حسن البيان وكرم الأخلاق

وقد أحسن ورثة المؤلف — وقد نشأوا على غرار والدهم ، ونبتوا في أكرم مغارسهم — في طبع هذا الكتاب الذي جمع تراجم لأربعة وعشرين علماً من أعيان القرن الهجري الماضي وأوائل القرن الحاضر

والكتاب على صغر حجمه ، وقصر بعض التراجم فيه عظيم الفائدة لانه كشف عن نواح غامضة من رجال لم يعرف الطيل الحديث شيئاً عن آثارهم ، بل حتى عن اسمائهم . فالشيخ زين المرصفي والشيخ أحمد أبو الفرج الدمهوري الشاعر ومحمد افندي أكمل والشيخ أحمد وهبي الشاعر وحسن افندي عبد الباسط الحوى هي أسئلة لأسماء خلدها المرحوم تيمور باشا في كتابه النفيس

ولو يورك في عمر الفقيد لخرج كتابه أوفى موضوعاً وأكثر اتساعاً مما هو عليه اليوم . وقد بين طابع الكتاب ذلك في بيانهم في آخر الكتاب . إلا أنه على الرغم من الايجاز في بعض المواضع سيظل مرجعاً لمؤرخ الأدب في العصر الحديث

والمؤلف رحمه الله عف القلم ، نزيه الغرض في الترجمة . فلا يتحامل ولا يجنح الى الهوى في الحكم . وله مع بعض المترجم لهم صلات شخصية إلا أنها لم تمنعه من صدق الأحكام

أما عبارة المؤلف في الترجمة فهي على نسق عال من البلاغة التي عرف بها ولم يمل فيها الى سجع ولم يعمد الى مبالغة . مع بيان يتسلسل كالماء ، ورق كالنسيم

وحسن من ناشري الكتاب أن يخرجوه كما وضعه صاحبه . وأن يثبتوا ما كتب حرفاً بحرف ليخرج الكتاب مرآة لمخطوطته . لأنه كان الأولى بهم أن يصدروه الى دليلاً لتحقيق مدى تحقيقه من تعيين سنة أو تدوين تاريخ أو تحقيق موقع بلدة وبذلك كانوا يحتفظون على أصل المخطوطة مع تحقيق الفائدة باضافتهم في ذيل الكتاب

ولقد وقعت في الكتاب أخطاء قليلة من المطبعة نعد على أصابع اليدين كما في ص ١١٤ ، ومنسية الترقي صفحة ١٩ وصوابها منية الفرق باثنين لا بغير . وفي هامش صفحة ١٤٤

ذكر ص ٣٣٠ من ديوان الشيخ شهاب وصوابها صفحة ٣٣٧ كما تحققت ذلك من رجوعي الى الديوان نفسه)

وقد ختمت هذه التراجم بترجمة المرحوم احمد تيمور باشا مؤلف الكتاب. كتبها الاستاذ حسن عبد الوهاب وهي على ايجازها وتحري القصد والصدق فيها تصور جانباً من حياة الفقيد العلمية وخزانة كتبه وآثاره في التأليف والكتابة

وانا لنرجو أن يوفق الله أبناء الفقيد — وهم من صدور الرجال في الأدب والفضل وبر الأبناء بالآباء — الى اخراج ما لم ينشر من مؤلفات الفقيد وهي (١) التصوير عند العرب (٢) معجم اللغة العامية (٣) الأمثال العامية (٤) معجم الفوائد. فانهم بذلك يحسنون الى ذكرى والدهم ويحسنون الى العلم الذي كمل الله به أباهم، فكان زين العلماء وامام الأدباء

محمد عبد الغني حسن

## أزهار الرياض في أخبار عياض

تأليف المقري — مؤلف نفح الطيب طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — صفحاته ٣٧١

هذا كتاب ألفه شهاب الدين أحمد بن محمد المقري صاحب كتاب «نفح الطيب» ومن علماء القرن الحادي عشر الهجري. وهو ترجمة نسيجة النواحي لقاضي المغرب الامام عياض بن موسى صاحب كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» المشهور، وغيره من الكتب النافعة، ومن اعلام القرن السادس الهجري

والفضل في اخراج هذا الكتاب للعهد الخليفي للابحاث المغربية الذي أسسه وظاهره سمو الخليفة مولاي الحسن بن المهدي العلوي خليفة عظمة سلطان المغرب الأقصى

عهد بتحقيق الكتاب والقيام على طبعه الى ثلاثة من خيار الاساتذة: مصطفى السقا وابراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي. وقد طالعوا قبل هذا الكتاب غيره فأحسنوا الاحسان كله وأسدوا الى الأدب العربي أيادي كبيرة. وسدوا نقصاً كبيراً في نواحٍ كثيرة من المكتبة العربية

ولا شك أن المجهود الذي بذله المؤلفون الأجلاء لا يعرفه الا من عانى تحقيق كتاب مخطوط ورجع في تحقيق الى اكثر من نسخة خطية، وقابل بينها جميعاً وعارض. وأدرك النقص في موضع والزيادة في آخر. ولاءم بينها جميعاً حتى يخرج الكتاب قريباً الى الأصل الذي وضعه صاحبه

والحق أن المؤلفين لم يقصروا في ذلك. تشهد بذلك الهوامش التي لا تكاد تخلو منها صفحة واحدة. تشهد بذلك التعليقات والشروح والتفسير اللغوي لكثير من الألفاظ الواردة في الكتاب. ويشهد بذلك بحثهم واستقراؤهم ما ورد في الكتاب من شعر او رواية. فلم يجدوا هذا البيت

ربما ضر عاشق معشوقا ومن البر ما يكون عقوقا

في نسخ ديوان المتنبي . وهم يشيرون الى ما خفي من اشارات وردت في خلال الكتاب كالاشارة في صفحة ٩٨ الى قول النابغة

وقلت يا قوم إن البيت منقض على براعة لوثة النصاري

وهم يحيلون القارىء على كتب كثيرة لتحقيق . وفي احالة لها دلالتها على امتداد ما اطلعوا وسعة ما قرءوا

والحق أني قصيت غير قليل أقرأ في هذا الكتاب وحاولت — غير مرة — أن أجد زيغاً في التحقيق أو تقصيراً في البحث فما زادتني القراءة الا اعجاباً بمجهود الاساتذة المحققين وثناء عليهم

والحق ايضاً انهم أضافوا الى مادة الكتاب الأصلي — وهي غزيرة — مادة أخرى من التحقيق العلمي الواسع البيان على الأمعان في التصبر لاخراج الكتاب في حلة ترضي العلماء والباحثين

ولقد مرَّت عليَّ في صفحة ٢٠٦ خطأة في بيت شعر لم تصحح في جدول الخطأ والصواب. فقد كتب البيت الآن هكذا :

ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر

والصواب يستطيع بحذف التاء من يستطيع ليستقيم الوزن كما لا يخفى على حضراتهم فلهم بالعروض دراية وبصر . وحذف التاء من الفعل استطاع جاء للتخفيف كما جاء في القرآن

وفق الله ضابطي هذا الكتاب النفيس الى اكماله بفضل معاونة المكتب التجاري للتقاوي التابع للمعهد الخليوي بطوان

عبد الغني

## الكيمياء ومسائل الحياة اليومية

تأليف حسن عبد السلام — منشور الكيمياء بوزارة المعارف — مطبعة التأليف بالفجالة بالقاهرة صفحاته ٢٧٣ قطع المقتطف — حقوق الطبع لوزارة المعارف — ولم يبين الكتاب ثمنه

هذا كتاب نفيس في الكيمياء على نمط طريف . فهو مؤلفه ليس مقصوراً على تأليف مدرسي توصف فيه الظاهرات الكيميائية والمركبات وعناصرها والعناصر وتبويبها وخواصها لأن الكتب المتداولة من هذا النوع كثيرة . وانما أراد كاتباً يجمع بين الفائدة العلمية وصفة الاغراء بالمطالعة بعد الخروج من المدرسة . أي ان يكون على قوله لاصقة الاتصال بين المدرسة والحياة

أكثر ما يحيط بنا من الأشياء والظواهر مما نعجز عن فهمه ، ومرد ذلك في كثير من الأحيان يلتمس علته الكيميائي : الأدهان والأصباغ ، والزجاج والفخار ، والخيلاين والمطريات ، العقاقير والعطور ، والأغذية والسموم ، والمفرقعات الحربية والأسمدة الكيميائية . جميع هذه الموضوعات تطالعنا كل يوم من نواحي حياتنا العملية ، فاذا استوعبت مسائلها انتباهنا ، فاننا نجد في هذا

الكتاب أجوبة شافية عن كثير مما يعتريها فيها. فاذا أضفت الى ذلك عجائب العمل الكيميائي الأعظم — وهو الجسم البشري — وما يتصل به من بحث الاحتراق والتنفس، والطعام وهضمه وتمثيله، والفيتامينات وآثارها، ومفرزات الغدد الصم وفعلها في الصحة والعقل والخلق فقد جمعت الموضوعات الخطيرة التي يشتمل عليها هذا الكتاب في بضعة أسطر

تشرب القهوة أو الشاي وتدخن التبغ « لأنها أصبحت من لوازم الحضارة الراهنة » ويمكن قصا تفكر في فعلها الكيميائي والفسيولوجي. فاذا فتحنا هذا الكتاب عند الصفحة ١٢٦ وما يليها طالعنا في أسلوب علمي قريب التناول اهم الحقائق العلمية التي وراء هذه الاعمال اليومية المألوفة

ونستهلك في مصر الوف الاطنان من الاسمدة على انواعها، ونقرأ عن مشروع كبير لتحويل قمامة المدن الى اسمدة، فاذا التمسنا حقائق هذين الموضوعين وجدناها في ما بين الصفحة ١٦٠ والصفحة ١٧٨ من هذا الكتاب

وصناعة الفخار لها تاريخ قديم وتاريخ حديث في [illegible] من التدخين تاج البحث العلمي في المواد التي تدخل في الطوب والقرميد وانابيب المجاري واواني الفخار والخزف والقاشاني وصقلها وما الى ذلك. وهذا موضوع تجده مبسوطاً بين الصفحة ١٨٣ والصفحة ١٩١

والاستاذ حسن عبد السلام مؤلف الكتاب أهل للتأليف في موضوع توفر عليه في معاهد انكلترا وأحرز فيه درجة الشرف من الطبقة الاولى ثم درّسه وأشرف على تدريسه في المدارس المصرية. فكتابه اضافة جديرة بالتهنئة والثناء الى سلسلة الكتب التي تؤلف بالعربية الآن لتبسيط العلوم ونشرها

## تصحيح خطأ

في عبارة أوردت على لسان الامير مصطفى الشهابي

نبهنا أحد الافاضل من القراء الى خطأ وقع في نقل عبارة الامير مصطفى الشهابي ثم الاستشهاد بها خطأ في الصفحة ٢٠٩ من عدد يوليو سنة ١٩٤٠ أورد الاستاذ محمود مصطفى الدمياطي القول التالي: — على أنهُ ليس من الادراك المقرون أن يقول قائل ( يجب عدم عبارة العامة في الألفاظ التي تطلقها على النباتات الخ ) . . . وصاحب هذا القول هو الأمير مصطفى الشهابي في مقال له نشر في مقتطف يوليو سنة ١٩٤٠ ونص عبارته الكاملة كما يلي ( ويجب عدم عبارة العامة في الألفاظ المنوطة التي تطلقها على النباتات . . . ) فسقوط كلمة « المنوطة » من عبارة الأمير مصطفى كما أوردها الاستاذ الدمياطي غير مقتها من أصلها. وقد نشرت كلمة الاستاذ الدمياطي بعد أن نبهنا أو نبهتهُ مراجعة هذا الافاضل من الأمير مصطفى وقابلتهُ بعبارة الأصلية. فلزم التنويه بذلك بعد ما نبهنا احد الافاضل اليه

# فهرس الجزء الثالث

## من المجلد السابع والتسعين


٢٢٩ عن الطبيعة الجديد ووحدة المادة

٢٣٦ الأفكار سر الحضارة والتقابل لا تدمرها

٢٤٠ من أنت ؟ : لشارل مالك

٢٥٢ عيوب المعاجم العربية وحاجتنا الى معجمين : للامير مصطفى الشهابي

٢٥٨ أوليفر لدج — سيرته وأعماله على ذكر وفاته

٢٦٦ تاريخ التقويم المصري : لكامل صالح نخلة

٢٧٢ سلام (قصيدة) : للشاعر الأميركي لونفلو

٢٧٣ الدكتور عبد الرحمن شهبندر — صفاته الفكرية والخلقية وحصة تأثيره
لعباس محمود العقاد ومنصور جرداق

٢٧٩ صورة ... (قصيدة) : لمسلم بن الوليد

٢٨٠ الغذاء والحياة : لعوض جندي

٢٨٨ خاتم العرس (قصة مصرية) : لمحمود خيرت بك

٢٩٣ سير الزمان * ١ — البحر الأحمر وأوصافه الجغرافية والحربية : بقلم عبد الرحمن زكي
٢ — عبرة السنة الأولى من الحرب

٣٠٩ حديقة المقتطف * البستاني : للشاعر الفيلسوف طاغور : بقلم محمود كامل حبيب

٣٢٥ باب الاخبار العلمية * الجمعيات العلمية في انكلترا : للدوري سنة ١٩٤٠ في بعض ... العلمية في انكلترا منذ ابتداء الحرب * أعضاء الجمعيات العلمية الذين ... في الحرب في انكلترا * أعضاء الجمعيات العلمية الذين ... في خدمة الحكومة البريطانية

٣٣٢ باب الملكيات * مستند بعقوبيين شيعة في الحديث النبوي * في هامش ... في القدس ترجمة اسحاق القرن الثالث عشر * ابن هبل الزيدي في الخلاف على الشيعة * وصف ... بقلم صاحبه بتصحيح خطأ

حضرة صاحب الفخامة الدكتور [illegible]